يكتبها: أحمد المناعي

تجربة أحمد المناعي مع الخط العربي

عشت مع الخط في أجواء لا يُسمع فيها سوى صرير القصب

"الخط العربي مجوهرات تصوغها اليد من ذهب العقل الصافي" التوحيدي

ليس عقل أحمد المناعي فقط، يستحيل ذهباً صافياً حين يدخل طقس الخط، بل حتى يده تصير قصبة ذهبية بالغة الصفاء، خطه يشكله هذا الصفاء الذاهب في أعماقه، ربما هو سر عناده الدائم مع نفسه حد الظلم، حسّاس لما يظنه شائبةً تخالط هذا الصفاء، حد أنه لم يكن يترك توقيعه على أعماله. لقد أغلق المناعي تجربته على صومعته الصوفية، وظل في خلوة خطه لا يسمع غير صرير قصبته، تنتقل به حركة الحرف من حال إلى حال، ومن سفر روح إلى صورة حال، يحيل حركاته وانتقالاته خطاً من ذهب مصاغ بنار روحه ونورها، وكأنه يردد مع المتصوف النَفّر: الحرف ناري، الحرف قدري، الحرف دهري، الحرف خزانة سري، وهو هنا لأول مرة يفتح خزانة سر خطه وحرفه، بعد إلحاح وطرق على أن يفتح جنة أسرار حرفه.

علي الديري

الطلقة الاولى

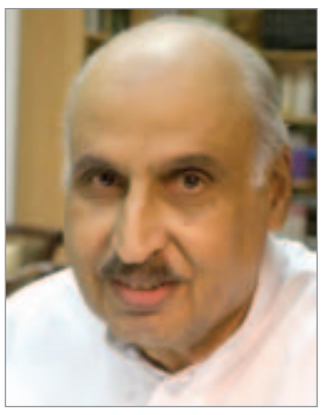

لم أحتفظ بأي لوحة فنية واحدة تقنعني بمستواها وترضي طموحي ، فقد أتلفتها جميعها لأنني لا أقوى على رؤيتها بأخطائها التي أدركها ولا أقوى على تصحيحها!

من عادتي كل صباح أن أستعين بخلوة الخط

فاتحة الاعتراف

الخط العربي فن جميل يبعث البهجة والمتعة في نفس كل متذوق للجمال أيّاً تكن جنسيته ولغته. وبعد انتشاره في العالم وإدراك الفنانين والمثقفين لقيمته الفنية المحسوسة بالنظر والفكر، صار أمرًا مألوفًا ومتواجدًا في أشهر المعارض والمتاحف الفنية، وحاضرًا بشكل لافت في الكتابات والدراسات الفنية، وازداد الإقبال على اقتناء روائعه القديمة والحديثة، فلم يعد فنًا محصورًا في حدود العرب والمسلمين.

وهذا الانتشار والاهتمام العالمي يعني بوضوح ما يتمتع به الخط العربي من قيم جمالية مثل: الانسيابية والمرونة، والوحدة العضوية، والاتساق بين حروفه وأجزائه، وأنساقه الإيقاعية، وحركته الهرمونية، وغيرها من الخصائص التي لا مجال للتفصيل فيها هنا، مما تجعله فنًا ذا طبيعة تشكيلية فريدة، تميزه عن غيره من الفنون التشكيلية الأخرى.

سحر الخط

أما عن علاقته بالمعنى، وما ورد حولها من أقوال تمجده باعتباره ناقلا للحكمة أو موضحًا للحق أو لسانًا للعقل أو اليد، أو غير ذلك من التعبيرات التي تركز على مضمونه أو محتواه، فإنها تخرجه من تلك الخصوصية، فهو فن قائم بذاته، له مقوماته وعناصره الفنية والتشكيلية الخاصة - التي تم ذكرها – وتجعله مجرد وسيلة نقل أو توصيل، بل وتضعه في مصاف الكتابة العادية ومهمتها عموما! فالخط العربي، من دون شك، هو الذي يمنح المعنى سطوعا، والتعبير وضوحًا وقوةً في التأثير. أما الخط، فله خصائصه الفنية النابعة من طبيعته وأصالته، وأن الجمال المنبعث منه ويتلقاه مشاهدوه ومحبوه، إنما يتأتى من عناصره الشكلية الخالصة وتكويناته الجمالية والزخرفية المبهرة. والدليل على ذلك أننا أحيانا نعجب بلوحة الخط دون أن نفهم محتواها، أو ندرك معناها، كما هو عليه عند من لا يجيدون العربية كذلك! ولكن للعربية فضل لا ينكر من حيث وجود العناصر والمحسنات البلاغية في أساليبها التعبيرية، من سجع وطباق ومقابلة وإيجاز، وتكرار، وقواف شعرية، ونحو ذلك التي تعتبر محفزات تدفع بالخطاطين إلى استخدام الحكم والأمثال والأقوال المأثورة؛ لإبداع تكوينات هندسية وأشكال فنية مختلفة، لما تتضمنه أساليبها من توازنات لفظية وتناظرات حرفية وسياقات إيقاعية، وهو ما يبرر في نظري تعدد كتابة حكم وأقوال معينة عشرات، بل ومئات المرات بتكوينات مختلفة من قِبَل معظم الخطاطين، وليس الدافع باعتبارها قيمًا ومبادئ معنوية فحسب.

إن سحر الخط العربي يكمن في كونه فنا تجريديًا يؤثر في الوجدان حال رؤيتك له، وتعشقه لذاته لا لمعناه، خلافا للفن التجريدي في الفنون الأخرى، الذي لا يستغني عن الإيحاء بالمعنى أو التأثير باللون أو التكوين؛ للتعبير عنه كي يصل إلى المشاهد. وقد حاول بعض المتصوفة أن يسبغوا على حروفه إيحاءات ودلالات رمزية – وبخاصة حرف الألف – فيها الكثير من الطرافة والغرابة والخيال؛ من أجل إعلاء مكانته. وكذلك فعل عدد من الحروفيين العرب مع الخط العربي، إذ حاولوا إعطاءه بُعدًا جديدًا بتوظيفه في اللوحة التشكيلية ولم يدركوا أصالته، وجذوره التاريخية التي جعلت منه فنًا بديلا لفن الرسم عند العرب والمسلمين، بعد تحريمه باجتهادٍ من فقهاء الإسلام! فصار الخط هو فنهم الأساس، وأتى أولئك الحروفيون ليحوّلوه إلى عنصر تزييني أو(كموتيف) لا أكثر! ولكن بعض الخطاطين المبدعين قدموا إضافات مهمة من خلال تقديم ابتكارات لأنواع جديدة من الخط العربي تميزت بالجمال مع الالتزام بأصوله الفنية، وهذا ما يحافظ عليه فعلا، ويبقيه فنا متفردًا.

طقس الخط

أما الذين رأوا أن مصير الخط العربي إلى اندثار محتوم، بفعل غزو التكنولوجيا وتطور أدوات الكتابة، فقد خاب ظنهم، وعاد مزدهرًا، وزاد الاهتمام به أكثر من ذي قبل! وإنه باقٍ ما بقيت أمّته.

وما يذكر عن كوْن الخط العربي يعكس شخصية الخطاط، فهي ليست من الميزات الفريدة للخط العربي، فجميع الفنون والخطوط والكتابات اليدوية للشعوب الأخرى تتصف بهذه الميزة، وإن كانت في الخط العربي أكثر وضوحًا لما يتمتع به من مواصفات أصيلة وعراقة متجذرة في التاريخ.

وأود أن أستهل الاعتراف بالبوح بما يعايشه الخطاط من طقس شفاف، وعن تلك الصلة الروحية التي تربطه بعمله الفني، والتي تجعل من إنتاجه جزءًا من روحه، على حد تعبير الخطاط العظيم هاشم البغدادي. هكذا كانت أجواء تجربتي مع الخط العربي – دون اصطفاف أو مقارنة مع الكبار من مبدعي الخط – فما أن أجلس لمباشرة الخط، وتلامس ريشتي سطح الورق المسوط أمامي، حتى يجتاحني شعور مرهف يهيمن على كياني، وأخضع لخشوع يسيطر على مشاعري، ويتحكم في أنفاسي ودقات قلبي .. أجواء لا يُسمع فيها سوى صرير القصب، ولا يتخللها سوى حركة اليد وهي تتحرك متأنية بين الدواة والورقة، إنها حالة امتزاج راقية تتماهى فيها النفس مع العمل، يتولد منها شعور بالنشوة والمتعة والانشراح. هكذا عشت مع الخط متوحدا به، متكتما على مسيرتي وإياه. وهذه العلاقة الحميمية جعلت له مكانة مفضلة على جميع الميول والاهتمامات التي مارستها في حياتي.

خلوة الخط

وكان من عادتي كل صباح أن أستعين بخلوة الخط، فأبدأ يوم العمل بتخصيص نصف ساعة أو أكثر أترك فيها لأناملي وريشتي حرية الانطلاق على الورق، راسمة حروفا وكلمات وجملا، لا يهم أن يكون لها معنى، بل المهم أن أستحضر الحالة التي تمنحني ذلك الشعور المؤدي إلى النشاط واعتدال المزاج، طقس مارسته كالعبادة لإنعاش روحي، وتهيئة نفسي للعمل بهمة وحيوية. وعندما يتعذر ذلك، فإن مزاجي يبقى متعكرا، وذهني مشتتا، فيكون أدائي متعثرا، ولا أعود طبيعيا، حتى تتهيأ الفرصة للقيام به في وقت آخر، أو صباح اليوم التالي، ولا أذكر أنني فرطت فيه يومًا ما راضيًا، أو تراخيت في تأديته إهمالا؛ لأنه صار حاجة ضرورية في حياتي العملية. أما بعد التقاعد، فأخذت تلك الممارسة تضعف شيئا فشيئا، وتتوارى مخلفة كسلا وخمولا يعُمان حركتي اليومية، دونما قدرة على معالجة السبب، مع توافر الوقت، وبقاء عشق الخط متوهجا في القلب والذاكرة!

أما عن التدرب الأساسي على الخط، فقد اعتدت أن أخصص له كل يوم ساعات عدة عند فراغي في الليل أو أثناء العطل الرسمية أو الخاصة. وقد لازمتني هذه العادة منذ أن كنت طفلا في بداية المرحلة الإعدادية. أضع أمامي رزمة من الورق العادي أو المصقول، متى توافر بأحجام مختلفة، وأشرع في الكتابة، دون اهتمام لما تعنيه الكلمات أو الجمل، فما يهمني هو إجادة رسم الحرف مفردًا أو موصولا، وفق القواعد الخطية لكل نوع من الخطوط العربية المعروفة، وهي: الرقعة والنسخ والثلث والديواني والفارسي والإجازة والديواني، أما الخط الكوفي، فنادرًا ما اعتنيت به، فالنوع القديم منه لم يتح لي الوقت تعلمه على أصوله وتعرف طريقة كتابته بالقصب، أما بالنسبة للكوفي الحديث، فلا يشعرني بالمتعة التي تمنحها كتابة الأنواع الأخرى من الخطوط التي تتجسد فيها المواصفات الجمالية التي ذكرتها، لكونه يرسم هندسيا، واعتدت على عدم استخدامه في عملي التجاري إلا عند الطلب!

وفيما يتعلق بمصير النماذج التدريبية، فإنني أنظر فيها وأستجلي ما بها من أخطاء، فأتلف ما لا يحوز على رضاي، واحتفظ بالباقي إلى وقت آخر، أعيد فيه عملية التقييم، وقد يكون مصير الغالبية منها الإتلاف. وقد حرصت على إخفاء تلك التدريبات وتجنب عرضها على الأصدقاء؛ خوفًا من طلب الاحتفاظ بها، وأنا غير راض عنها تماما، علمًا أن أصدقائي عادة ما ينظرون إلى ما أخط بعين الإعجاب، ولكنني في هذا المقام أتمثل قول الشاعر:.. وعين الرضا عن كل عيب كليلة! وقد استمررت في ممارسة هذا النوع من التمارين الخطية إلى أن أحلتُ نفسي على التقاعد وأتاحت لي هذه المرحلة وفراغها الطويل فرصة التأمل وإعادة النظر في مسيرتي الفنية وكيفية ممارستي للخط، فوجدت أنني، أولا: لم أحتفظ بأي لوحة فنية واحدة تقنعني بمستواها وترضي طموحي، فقد أتلفتها جميعا؛ لأنني لا أقوى على رؤيتها بأخطائها التي أدركها ولا أقوى على تصحيحها! مما تسبب لي قلقا يدفعني إلى محاولة إعادة كتابتها مرات ومرات، أنجح أحيانا مع بعض اللوحات، وغالبا ما يلازمني الفشل! وهكذا يستمر الحال. وساعدتني سنوات التقاعد الأولى على تحسين خطي واستعادة لياقتي في الكتابة بالقصب. وثانيًا: إن التدرب على الخط كان عشوائيا وغير منظم، ولم يكن له هدف عندي غير المحافظة على المهارة من الضعف أو تجنب نسيان رسم بعض الحروف وموازينها. ولأنني لم أكن أهتم بإنتاج تكوينات خطية، ونتيجة للقسوة غير المبررة أحيانا على ما أنجز، فقد دفع بي ذلك إلى الابتعاد عن المشاركة في المعارض! وهذا ما جعل تقدمي في إجادة معظم أنواع الخطوط بطيئا، من جراء التدريب الخاطئ وغياب المنافسة مع النفس وكذلك مع الآخر! يأتي هذا الاكتشاف بعد فوات الأوان، وانقضاء حيوية الشباب وعنفوانه! وبذا قررت متأخرا أن أحتفظ بما أكتب حتى ولو شابه بعض القصور والأخطاء! فالعمر يتقدم، والبصر في انحسار، والأصابع بدأت تفقد الثبات، فلن أبلغ أفضل مما وصلت إليه! وأدركت أن التفريط بما ينجز الآن سيجعلني في المستقبل خطاطا بلا أثر، واسما بلا تاريخ!

فضاء الجدران

وثمة أمر آخر غير عادي في حياتي يجدر ذكره، وهو أنني كخطاط ومتذوق للفن، لا أميل إلى تعليق أية لوحات خطية أو فنية على جدران المكان الذي أقرأ أو أكتب فيه، سواءً أكان لي أو لغيري، والزائر لمنزلي يستغرب من هذه الظاهرة، ويرجع السبب، إلى أنني أفضل دائما أن تكون الجدران المحيطة بي فضاءً لونيا، ومفرغة من أي معلقات، كي لا يشغلني شيء عندما أقرأ أو أفكر في موضوع ما، باستثناء أرفف الكتب، فهذه على العكس، يساعدني وجودها ومنظرها على التأمل والتفكير والانشراح.

الأمر الأخير والمهم، هو الإجابة على سؤال طالما طُرِح عليَ: لم يختفِ توقيعك من أعمالك الخطية عموما، ولا نراه إلاّ في قلة منها، وبسبب إصرار طالبيها بضرورة وجوده؟!

حقيقة لا أعرف لهذه الظاهرة تبريرًا أكيدًا ! ما أعرفه جيدًا: هو أنني شخص مثالي لا سقف لطموحه، ولا يرضيه إنجازه مهما بلغ من الإتقان - وهو ما لم ولن يحصل في نظري – علاوة على تطبّعي على حب العمل في الظل، وعدم الميل إلى الظهور في العلن، وهي صفة لازمتني منذ الشباب، فأنا أجد متعة كبيرة في مراقبة عملي عن بُعد، ولا يهمني أن أكون معروفًا، ويصادف أحيانا أن يسند إنجازه إلى غيري، فلا أهتم! ومسيرتي الحياتية شهدت مثل هذه المواقف سواء على صعيد الخط أو الكتابة الأدبية أو العمل الوظيفي!

وما يجدر ذكره أنه ونتيجة لهذا التخفي والميل إلى عدم الظهور في العلن، فقد تعددت شخصياتي (الخطـــــاط، المدرّس، المدرب التربوي، الناقد، لاعب الكرة..) فلا أحد يعرفني بمجموع تلك الشخصيات، إلا قلة من الزملاء. إضافة إلى أن اسمي متكرر بالأب والجد واللقب في البحرين والخليج! وإمعانا في التضليل، عندما أتكتم عن الإفصاح بأكثر مما لدى الآخر من معرفة عني!

■ الفنان أحمد المناعي (تصوير: حسين المحروس)

يكتبها: أحمد المناعي

تجربة أحمد المناعي مع الخط العربي

عشت في قلالي تلك القرية الهادئة ذات التاريخ والتراث الشعبي والاجتماعي المتنوع

"الخط العربي مجوهرات تصوغها اليد من ذهب العقل الصافي" التوحيدي

ليس عقل أحمد المناعي فقط، يستحيل ذهباً صافياً حين يدخل طقس الخط، بل حتى يده تصير قصبة ذهبية بالغة الصفاء، خطه يشكله هذا الصفاء الذاهب في أعماقه، ربما هو سر عناده الدائم مع نفسه حد الظلم، حسّاس لما يظنه شائبةً تخالط هذا الصفاء، حد أنه لم يكن يترك توقيعه على أعماله. لقد أغلق المناعي تجربته على صومعته الصوفية، وظل في خلوة خطه لا يسمع غير صرير قصبته، تنتقل به حركة الحرف من حال إلى حال، ومن سفر روح إلى صورة حال، يحيل حركاته وانتقالاته خطاً من ذهب مصاغ بنار روحه ونورها، وكأنه يردد مع المتصوف النَفّر: الحرف ناري، الحرف قدري، الحرف دهري، الحرف خزانة سري، وهو هنا لأول مرة يفتح خزانة سر خطه وحرفه، بعد إلحاح وطرق على أن يفتح جنة أسرار حرفه.

علي الديري

(تصوير: حسين المحروس)

الحلقة الثانية

يبدأ تعلقي بالخط، مع الخال العزيز عبدالرحمن بن عيسى المناعي ، أستاذ اللغة العربية بمدرسة الحد الابتدائية آنذاك

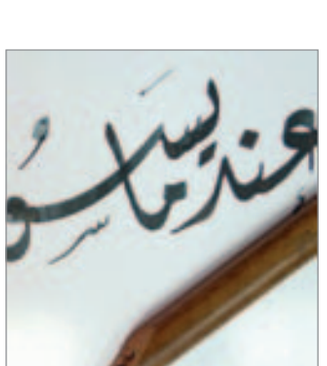

كان من أبرز خطاطي البحرين: الخطاط عبدالله بهلول ، والخطاط خليل زباري ، والخطاط أحمد عثمان

العودة إلى منشأ السيرة

أعيد الآن عقارب الزمن ستين عامًا إلى الوراء، إلى مرحلة الطفولة، فقد يكون في أفيائها ما يكشف عن مزيد من ملامح شخصيتي: عشت في قلالي، تلك القرية الهادئة المطلة على البحر، ذات التاريخ والتراث الشعبي والاجتماعي المتنوع. تربيت في أحضان عائلة تنتمي إلى قبيلة واسعة الانتشار، عُرفت بمكانتها الاجتماعية ودورها الوطني والسياسي على مدى ثلاثة قرون وعلى امتداد الخليج.. وكان بيت العائلة الكبير مكوّناً من أُسر عدة، متحدة في السكن والمعيشة واقتسام الرزق، تعيش من مصادر دخل ميسورة إلى حدٍ ما: تمتهن الطواشة وتجارة اللؤلؤ، وما يتحصل من أجور العقار، وما يكفي حاجتها من إنتاج النخيل، ومصائد الأسماك المخصصة في الغالب لإطعام أهل البيت ومن يلفي عليهم في المجلس من ضيف أو فقير.. هكذا كان الحال زمان النشأة الأولى، كفاية في العيش وأمان في الحياة، يصاحبها التزام بعادات واحترام لتقاليد. بيئة انعكست على حياتي، وطبعت شخصيتي، وجعلتني قليل الاحتكاك بمحيط القرية الاجتماعي، ألعب مع أقربائي، ملتزمًا بتواجدي في البيت أو بالقرب منه، مداومًا على حضور المجلس، مستمعًا لأحاديث رواده وزواره، وصبّابًا للقهوة عندما يتغيب صبابها الخاص.

أما بداية سيرة الخط فتبدأ من هنا.. من البيئة الثقافية في الأسرة، فقد كان فيها من هو أُمّيٌ، ومن لا يعرف من القراءة والكتابة إلا الشيء البسيط، ولكنهم جميعًا ورثة ثقافة فطرية: دينية وحياتية، ليست ساذجة ولا بسيطة، فهم ملمّون بأمور الدين والحياة، والسياسة أيضًا، بحكم المكانة التي تمتعت بها العائلة لفترة طويلة.. وما يعنيني هنا وجود الأستاذ والمثقف الوحيد بينهم، الذي كان له الفضل في غرس بذرة الهواية، ومنه انطلقت سيرة الخط..

هو الخال العزيز عبدالرحمن بن عيسى المناعي، أستاذ اللغة العربية بمدرسة الحد الابتدائية آنذاك، معه يبدأ تعلقي بالخط، فمنذ التحاقي بالمدرسة التي يُدرّس فيها، وتمكني من تعلم أبجدية القراءة والكتابة، أثار اهتمامي خطه الجميل في كراسات التحضير ودفاتر ملاحظاته، وفي المرسلات التي كان يُكلف بكتابتها من الأقرباء وأهالي القرية.. بيئة كانت كافية لنمو بذرة عشق الخط العربي، وبث روح الحياة قي أوصالها، رغم كون الخال لا يحترف الخط ولا يستخدم في كتابته سوى القلم العادي، ولكن إجادته له كانت واضحة ومتميزة، ملتزمة إلى حد ما بقواعد الخط وأصوله، الواضحة في خطي الرقعة والنسخ، ولا أعتقد أن الكتابة بقلم القصب أو الريشة كان سيصعب عليه لو أنه مارسها، فموهبته في الخط ظاهرة جلية!

ولقيت من الخال حسن التوجيه والرعاية الكريمة، طوال سنوات الطفولة الأولى، اكتسبت منه – خلالها – إضافة إلى ذلك الكثير من الميول والاهتمامات الأدبية والفنية، وأبرزها حب القراءة والاطلاع، حيث كان يمتلك مكتبة عامرة بمختلف الكتب في الآداب والعلوم والتاريخ. كما كان مثقفًا واسع المعرفة في مجال اللغة والتاريخ والدين والاجتماع، ولديه اهتمام بالمسرح، تأليفًا وإخراجًا، فقد كان يكتب المسرحيات والمنولوجات الفكاهية ذات الطابع الاجتماعي والتعليمي الهادف للمسرح المدرسي في مدرسة الحد الابتدائية، بالتعاون مع الأستاذ عتيق سعيد الذي عمل مذيعًا ومخرجًا بإذاعة البحرين فيما بعد. له محاولات في الكتابة الأدبية، لا يرغب في نشرها، أو اطلاع الآخرين عليها! كما عُرف بفصاحته وجمال تعبيره في الإنشاء والخطابة. ويتمتع بحسن الخلق وهدوء الطبع والكرم. وهو بهذا يُعتبر مدرسة تربوية قائمة بذاتها، وهو كذلك فعلاً، فقد تعلمت على يديه أجيال، ويستحق الثناء والعرفان.

صقلُ الموهبة في المدرسة الثانوية

ولكن هذه المعايشة التربوية والأدبية مع الخال العزيز لم تدم طويلاً، فقد تفكك البيت العائلي الكبير وتفرقت أُسَرُه، كل إلى حال سبيله، بحثاً عن الرزق والعيش الأفضل. وفي هذه الفترة (1957) وصلتُ إلى المرحلة الثانوية، طالبًا في مدرسة المنامة الثانوية، وهناك التقيت مدرّساً جليلاً، دمث الأخلاق، متواضعاً، كان يدرسنا اللغة العربية والدين، هو: الأستاذ عبدالحميد قَصَد، واكتشفتُ أنه خطاط ماهر، حين لمحته أول مرة يقوم بخط الإرشادات المدرسية بالطبشور على السبورة المعلقة على جدار مدخل بوابة المدرسة، وعلى نشرات الحائط. وأعجبت جدًا بخط الرقعة لديه واندهشتُ لمسكة الطبشورة وتكييفها للخط، التي حاولت تقليدها فلم أنجح!.. وصرت أراقبه عندما يكتب أثناء الفُسَح، متخفيًا في بادئ الأمر، ثم صارحته بميلي إلى تعلّم الخط. فأبدى استعدادًا طيبًا، فصرتُ أداوم على مراقبته، وأتمعّنُ في طريقة كتابته، وأسأله عن كل ما يغمض عليّ من قواعد الخط العربي. وأعرض عليه كتاباتي لتقويمها وتصحيح أخطائها. ونَمتْ بيني وبينه صداقة أخوية حميمة، زالت فيها رهبة الأستاذ.

وهكذا اهتديت إلي معلم آخر لديه المهارة والمعرفة بفنون الخط العربي، وحسن الخلق. كنت سعيدًا برفقة ذلك الأستاذ، وحفزني هذا الشعور على العكوف طويلاً على التدرّب على الخط وتحسينه، مُـهـمـلاً دروسـي وواجباتي المدرسية التي صرتُ لا أطيقها، ومنصرفًا كذالك عن لعب كرة القدم، حيث كنت واحدًا من البارزين في فريق نادي قلالي. وخلال وجودي في المدرسة تكوّنت لديّ شهرة في محيط المدرسة، أتاحت لي المشاركة في خط بعض الإعلانات والنشرات المدرسية، وأُسند إليّ إخراج مجلة المدرسة وكتابة عناوينها على ورق الـ «إستنسل»، وكانت تحمل عنوان «صوت الطالب». كما ساهمت في تحريرها، ومازلت أحتفظ بالعدد الأول منها.

الخطاطون البحرينيون الأوائل

ولم تدم تلك الحال السعيدة في المدرسة الثانوية سوى سنتين، غاب بعدهما الأستاذ «قصد» عائدًا إلى بلده مصر. وحاولت البحث عن بديل يعوضني فراغ رعايته فلم أجد ذلك، لا في محيط المدرسة ولا خارجها. وكانت صلتي بخطاطي البحرين لا تتعدى مشاهدة كتاباتهم على لافتات المحلات التجارية، وعلى بعض الإعلانات والمطبوعات، ولم أسمع عن اهتمامهم بتعليم الخط للراغبين، ولا توجد لهم مكاتب معروفة يمارسون فيها عملهم، وقد تكون موجودة ولم أهتم بالبحث عنها. وجل اهتماماتهم كانت مركزة على عمل اللوحات والإعلانات التجارية، وممارسة الخط كمهنة مساعدة لكسب الرزق. ومن أبرز هؤلاء: الخطاط عبدالله بهلول، والخطاط خليل زباري، والخطاط أحمد عثمان. وكان بهلول أكثرهم إنجازاً للوحات واللافتات التجارية، بينما برزت أعمال زباري في المطبوعات والنشرات الإعلانية، أما العثمان فكان يعمل خطاطاً في دائرة الأوقاف (الطابو)، وله بعض الأعمال المنقوشة على واجهات الدوائر الرسمية، مثل بلديتي المحرق والمنامة والمحكمة القديمة. وهؤلاء الخطاطون لم يتركوا – مع الأسف – أية أثار فنية تخلّد حياتهم، وما تبقى لهم خطوط عادية في الصحف أو المجلات أو النشرات، لم يتم حتى الآن جمعها وتوثيقها. أما ما أنجزوه من لافتات وما كتبوه على الواجهات، فقد زال بسبب الهدم العشوائي لكل أثر ومعلم قديم! إلى جانب عدم اهتمام الخطاطين أنفسهم بحفظ إبداعاتهم الخطية. ومن الملاحظات التي لفتت انتباهي وأنا أتأمل تاريخ الخط العربي ورواده في البحرين، أن معظم عناوين مراسلات الدوائر الحكومية والصحف المحلية، وأسماء المحلات، والأختام بأنواعها، كانت آنذاك بخط خطاطين عرب من مصر والعراق ولبنان.. ونادرًا ما تجدها بخط بحرينيين، وهو ما يدعو إلى التساؤل، في وجود مجتمع ثقافي واجتماعي متحضر، وحركة نشر وصحافة نشطة.. ومع توافر إمكانات الطباعة وعمل الزنكوغراف منذ نهاية الخمسينات. وأستبعد أن يكون السبب في ذلك تواضع مستوى الخط لدى الخطاطين البحرينيين!

التوجيهي

وأنهيت الثانوية العامة (1961) بعسر شديد، عانيت خلالها صعوبة دراسة المواد العلمية التي كانت تحتاج إلى صفاء الذهن والتركيز، وما كدت أفرح حتى فوجئت بخبر فتح صف إضافي وهو ما أطلق عليه «التوجيهي»، وهي تسمية مصرية – لم أسأل عن معناها حتى اليوم، وإن كنت أعرف أنه يعتبر لدى المصريين من الفترات العصيبة، وامتحانه بمثابة يوم الحشر أو يوم تقرير المصير! – وسيكون كذلك لي – وكان الالتحاق به، بالنسبة إلينا، اختياريًا، باعتبارنا آخر فوج أنهى المرحلة الثانوية العامة وتسلم شهادتها، ولكنه إجباري، والنجاح فيه مطلب أساسي لمَنْ يريد إكمال دراسته الجامعية بمصر. ووجدت نفسي مدفوعًا، لا من أصدقائي وعائلتي فحسب، بل بفعل التحدي الذي ألمّ بي عنوة إلى اقتحامه. ولم يكن ذلك قرارًا صائبًا، فقد كنت أعرف مقدمًا أنني سأواجه صعوبة كبيرة في اجتيازه، وذلك لما أنا عليه من سوء حال وتعب ذهني، ولأنه تجربة جديدة ستنعكس آثارها السلبية علينا نحن الطلاب، ولأن مقرراتها من ألفها إلى يائها مصرية، لم تدْرس من جهة الوزارة بعناية، من حيث مواءمتها مع مقررات المرحلة السابقة، ولا إلمام كافياً لدى الهيئة التعليمية والإدارية بها، باستثناء الأساتذة المصريين المنتدبين للتدريس بالمدرسة!.. وكما توقعت.. دخلت الامتحان منهك التفكير لا قدرة لدي على التركيز، فانسحبت من دون أن أكمل بقية الامتحان، وصار عليّ دور ثان، وعليّ أن اجتازه بداية السنة!.. وتبين لي خطأ قراري، وأن ما قمت به من تحدٍ ومعاندة للنفس، كان مغامرة طائشة لا ضرورة لها، لم أكن مستعدًا لمواجهتها، ولا مقتنعًا بجدواها.. وأعني أنني قد أكملت المراحل الدراسية الثانوية المقررة، وتسلمت شهادتها، وأنني لم أفكر يومًا إكمال دراستي بمصر، إذ إن قلبي آنذاك معلّق ببغداد حيث يوجد الخطاط العظيم هاشم البغدادي، فلم الإقدام على أمر لا وجود له في طموحاتي المستقبلية؟!

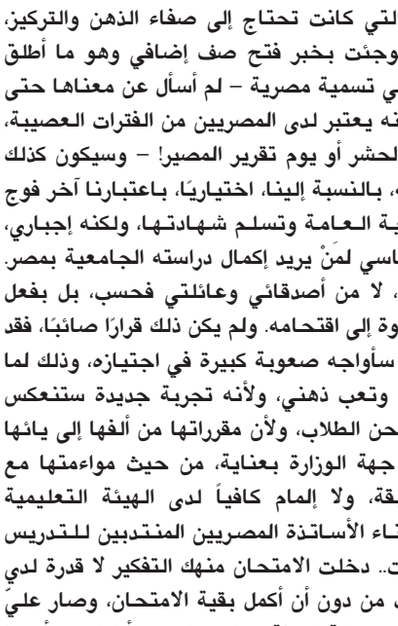

مقتطفات

■ كذا اهتديت إلى معلم آخر لديه المهارة والمعرفة بفنون الخط العربي، وحسن الخُلق. كنت سعيدًا برفقة ذلك الأستاذ، وحفزني هذا الشعور على العكوف طويلاً على التدرّب على الخط وتحسينه، مُهملاً دروسي وواجباتي المدرسية التي صرتُ لا أطيقها، ومنصرفًا كذالك عن لعب كرة القدم،

■لم تدم تلك الحال السعيدة في المدرسة الثانوية سوى سنتين، غاب بعدهما الأستاذ «قصد» عائدًا إلى بلده مصر. وحاولت البحث عن بديل يعوضني فراغ رعايته فلم أجد ذلك، لا في محيط المدرسة ولا خارجها. وكانت صلتي بخطاطي البحرين لا تتعدى مشاهدة كتاباتهم على لافتات المحلات التجارية

يكتبها: أحمد المناعي

تجربة أحمد المناعي مع الخط العربي

غادرت إلى العراق ويحدوني الأمل في تعلّم الخط على يد الخطاط الشهير هاشم البغدادي

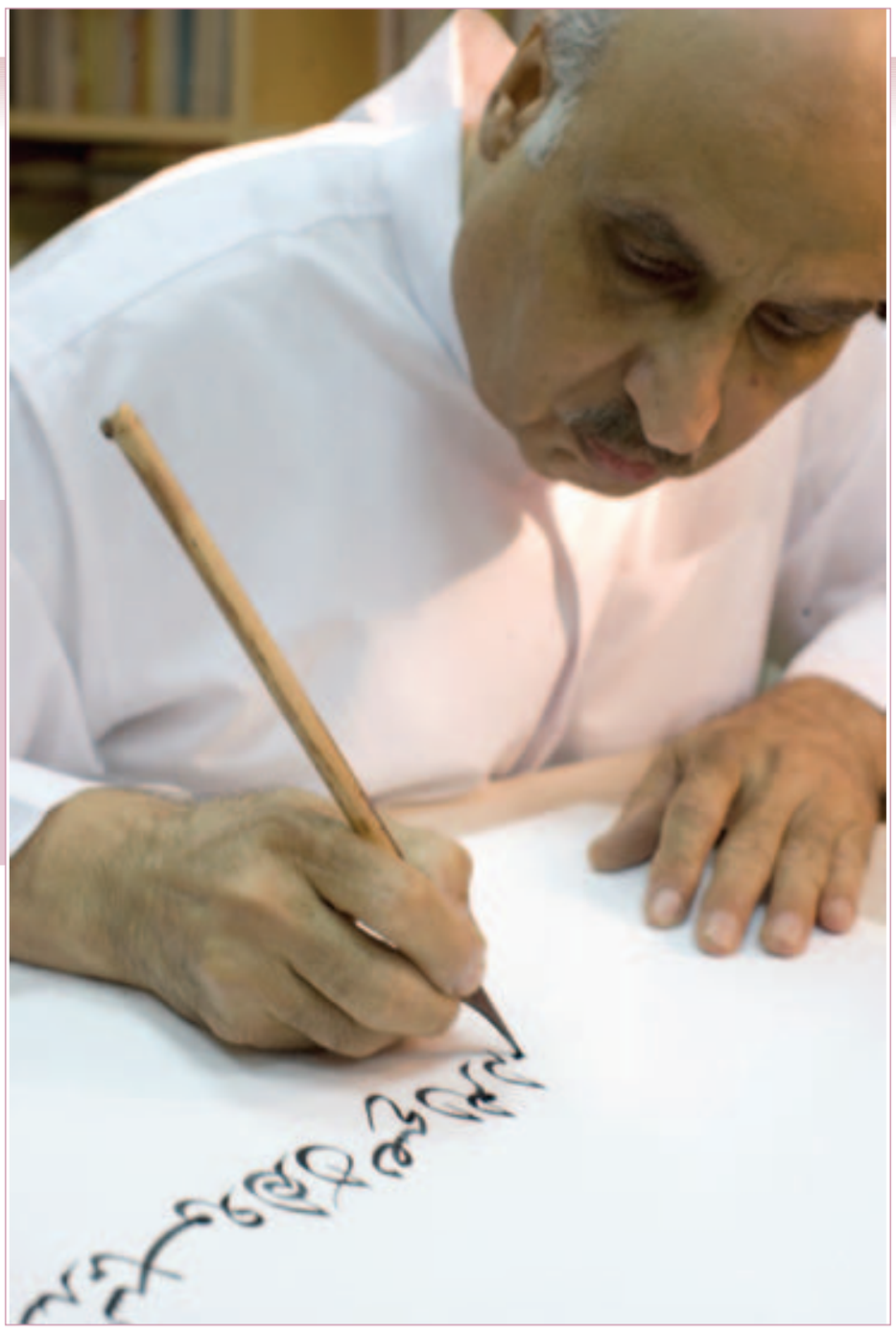

(تصوير: حسين المحروس)

"الخط العربي مجوهرات تصوغها اليد من ذهب العقل الصافي" التوحيدي

ليس عقل أحمد المناعي فقط، يستحيل ذهباً صافياً حين يدخل طقس الخط، بل حتى يده تصير قصبة ذهبية بالغة الصفاء، خطه يشكله هذا الصفاء الذاهب في أعماقه، ربما هو سر عناده الدائم مع نفسه حد الظلم، حسّاس لما يظنه شائبةً تخالط هذا الصفاء، حد أنه لم يكن يترك توقيعه على أعماله. لقد أغلق المناعي تجربته على صومعته الصوفية، وظل في خلوة خطه لا يسمع غير صرير قصبته، تنتقل به حركة الحرف من حال إلى حال، ومن سفر روح إلى صورة حال، يحيل حركاته وانتقالاته خطاً من ذهب مصاغ بنار روحه ونورها، وكأنه يردد مع المتصوف النَفّر: الحرف ناري، الحرف قدري، الحرف دهري، الحرف خزانة سري، وهو هنا لأول مرة يفتح خزانة سر خطه وحرفه، بعد إلحاح وطرق على أن يفتح جنة أسرار حرفه.

علي الديري

الحلقة الثالثة

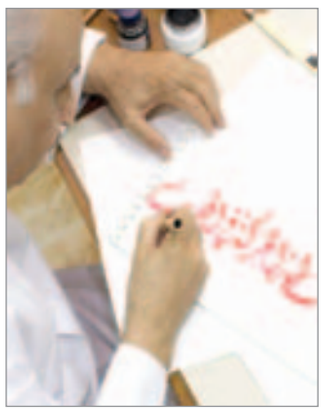

مع التدريس باشرت العمل التجاري بالخط في عدد من المؤسسات المعنية بالطباعة والإعلان.. أبرزها محل أوال بلاستك والمطبعة الشرقية ووزارة التربية «المعارف سابقا»

خلال فترة التدريس تكونتْ لديّ شهرة وعلاقات مع العديد من المؤسسات العاملة في الدعاية والإعلان

الانضمام إلى التعليم

هكذا، أخذت أول درس قاسٍ في الحياة. تعلمت منه، كيف أخطط لمسيرتي في الحياة وأختار طَريقي بقناعة، كي لا أكون نادمًا عند الفشل على ما فعلت..

وصرفت النظر مؤقتاً عن مواصلة الدراسة، وتقدمتُ للعمل في التدريس. وقبلت في الحال، لأن التعليم آنذاك في حاجة إلى مدرسين مواطنين، والشهادة الثانوية كانت تؤهل للتدريس. ودخلت ميدان التدريس، مدرسًا لمواد اللغة العربية والدين والحساب في مدرسة عمر بن الخطاب. وبدأت مرحلة جديدة قررت فيها توجيه حياتي وفق رغباتي وطموحاتي وإمكاناتي.

ومع التدريس باشرت العمل التجاري بالخط، في عدد من المؤسسات المعنية بالطباعة والإعلان، أبرزها محل أوال بلاستيك والمطبعة الشرقية ووزارة التربية (المعارف سابقاً) وغيرها من الجهات التي هي في حاجة ماسة إلى خطاط ينجز لها أعمالها بسرعة وإتقان. ومن المؤسسات التي عملت معها بشكل مكثف وتوطدت بيني وبين أصحابها صداقة وأخوّة طيبة منذ مطلع الستينيات، اثنتان:

الأولى: شركة «أوال بلاستيك»، ويملكها ثلاثة شركاء تجمعهم صلة قرابة. بدأتُ معهم خطاطاً بالأجر عند التحاقي بالتدريس، وقد بدؤوا العمل بمحل صغير في شارع الشيخ حمد بالمنامة، والخط على اللافتات واللوحات الخشبية والمعدنية، كما كانوا يستخدمون الحروف البارزة التي تقتطع بواسطة مناشير كهربائية صغيرة، ومن ثم يتم لصقها على اللوحة، وقد انتشر العمل بها في تلك الفترة. فكنت أمرّ عليهم يوميًا لإنجاز طلباتهم. وبقيت أتعامل معهم حتى مغادرتي إلى العراق للدراسة. وفي العطلة الصيفية أشغل فراغي بخط بعض الطلبات التي تتوافر لي من بعض المؤسسات التي تعاملت معها في السابق، حيث يساعدني دخلها في مصاريف الدراسة. وبعد تخرجي في الجامعة واصلت العمل مع «أوال بلاستيك» وغيرها من المؤسسات. واستمررتُ أمارس الخط تجارياً معهم إلى أن توقفت منتصف الثمانينات. وقد تطورت أعمال هذه الشركة، وأصبحت من كبريات الشركات المصنعة للإعلان في الشرق الأوسط. وأذكر لأصحابها العصاميين حسن المعاملة والتقدير، اللذين لقيتهما منهم طيلة عملي وإياهم، وهم مازالوا ينتهجون هذا السلوك الطيب مع كل من يتعامل معهم.

أما ثاني المؤسسات فهي المطبعة الشرقية، وكان موقعها بمنطقة شارع باب البحرين، على طريق جانبي من جهة الشرق، وصاحبها ومديرها هو المرحوم عيسى الزيرة. عُرف بطيبته العفوية ودماثة أخلاقه وتواضعه، ولا أنسى ترحيبه بي كلما قدمت إليه، فما إنْ يراني أدخل المكتب حتى ينهض من مكانه، يصافحني مبتسمًا ويطلب مني الجلوس، ولا يبدأ معي عرض الطلبات إلاّ بعد تناول الشاي، ثم يستدعي المستر جورج مسؤول المطبعة ليشرح لي مواصفات الطلبات الخطية ونوعيتها وأحجامها.. والاتفاق على موعد إنجازها.

وكان من عادتي أن أطلب من المؤسسات التي أتعامل معها بشكل مكثف تخصيص دفتر لي أسجل فيه أجر ما أنجزه من أعمال خطية أولاً بأول، لأعود بعد فترة قد تمتد اكثر من شهر، لاستلام ما تجمع لي من مبالغ. كما توقفت عن التعامل المباشر مع الزبائن، بعد أن واجهت الكثير من المشكلات، بسبب المساومات المزعجة التي تصدر عن بعضهم حول العمل الذي أنجزه لهم، لعدم إدراكهم قيمته الفنية ومدى الجهد المبذول فيه، فكنت أحولهم إلى إحدى المؤسسات المعنية بالإعلان أو الطباعة التي أتعامل معها، مثل أوال بلاستيك والمطبعة الشرقية وغيرهما.

وأخذَ مني التدريس والعمل بالخط كل فراغي، وأدمنت السهر لإنجاز واجباتي التدريسية وأعمال الخط المكلّف بها من المؤسسات والشركات التجارية، ولم يعُد لدي وقت للعب كرة القدم ولا لتمارينها، وصرت أخوض المباريات في تلك الأيام بروح خاوية، متعبة، أثّرت سلباً على لياقتي البدنية، فقررت الاعتزال نهائياً عن اللعب.

وانتبهت في زحمة العمل أنه لابد من تنظيم وقتي كي يكون لدي فرص للاعتناء باهتماماتي الأخرى، وبخاصة التدرب على الخط والقراءة.. القراءة التي هي من أحب العادات وأمتعها، ورفيقتي التي لا يمكن التخلي عنها مدى الحياة.

وأثناء فترة التدريس تكونتْ لديّ شهرة وعلاقات مع العديد من المؤسسات العاملة في الدعاية والإعلان، وعرض عليّ بعضها العمل معهم بشكل دائم، بالأجر أو الشراكة فاعتذرت من دون تردد، مفضلاً العمل الحر أولاً؛ ولأنني أعتزم إكمال دراستي الجامعية في الفنون ثانياً. حينها فكرت في فتح مكتب لي، خاص بالخط.

مكتب الفن العربي

وسعيت إلى تنفيذ الفكرة، ولكوني موظفاً حكومياً، عرضتها على الزميل المرحوم عزيز أمين، وكان يومها يبحث عن عمل، ولديه اهتمام بتعلم الخط وممارسته مهنياً، فعرضت عليه فكرة المشاركة في المحل، وقبلها في الحال، وتركت له أن يسجل المحل باسمه ليكون مسؤولاً عن إدارته، وفي الوقت نفسه يعمل على إنجاز اللوحات التي أقوم بخطها بقلم الرصاص أو الطباشير، ثم يقوم هو بتلوينها بالصبغ. وأسميناه: مكتب الخط العربي، وكان موقعه في نهاية شارع الشيخ عبدالله من جهة الشرق، بمحاذاة مأتم الصفافير. وبدأنا العمل، وصرنا نقتسم الأرباح مناصفة بعد خصم المصروفات والإيجار. وشهد مشروعنا إقبالاً كبيرًا من الزبائن لندرة مكاتب الخط آنذاك، فوفّر لي ربحًا إضافيًا. وهيأ لعزيز وظيفة مناسبة أمّنت له مردودًا ماديًا، وأتاحت له فرصة تعلُّم الخط وإتقانه. وصار، كذلك، مقرًا لي في الأمسيات وأيام العطل للقاء الأصدقاء والزوار.

ولم يدم اشتغالي بالتدريس سوى سنتين، وجدت نفسي ذات يوم أتسلّم قبولاً في جامعة بغداد، حيث كنت قد أرسلت طلباً للالتحاق بكلية الفنون الجميلة، قبل ثلاثة أشهر من نهاية العام المدرسي الثاني (1964). وعندها واجهت خيارين صعبين: بين المحافظة على وظيفتي الجديدة، ومكاسب اشتغالي بالخط من جهة ورغبتي في استكمال دراستي الأكاديمية من جهة أخرى. واخترت التضحية بالخيار الأول. فأسرعت في أخذ إجازة مفتوحة من دون راتب من وزارة التربية (معارف حكومة البحرين سابقاً). وأودعت مكتب الخط لدى زميلي، من دون البحث في موضوع الشراكة، إذ إن المكتب ليس فيه من المواد والتجهيزات ما يمكن اقتسامه، ولإبقاء ثقة الزبائن فيه، ثم أن لا أحد يعلم ماذا سيكون عليه الحال بعد أربع سنوات. وبقي الزميل يعمل فيه مدة من الزمن، وكانت بيننا مراسلات استمرت أشهراً عدة ثم انقطعت عني أخباره. وسمعت فيما بعد عن حصوله على وظيفة خطاط بدائرة الأوقاف، واضطراره إلى إقفال المكتب. وشغلتنا الحياة عن أن نلتقي ثانية. وقد أسفت جداً لنبأ وفاته قبل سنوات عدة، ولانقطاعي عن مواصلته.

الدراسة في العراق

أنهيت ارتباطاتي كلها، وغادرت البحرين إلى العراق، محملاً بشوق وفرح كبيرين، يحدوني الأمل في دراسة الفنون، وتعلّم الخط على يد الخطاط الشهير هاشم البغدادي. استقبلني زملائي الطلاب البحرينيون في بغداد بأخبار غير سارّة مفادها: تحويل أوراق التحاقي إلى كلية الآداب – حسب رغبتي الثانية – لأن كلية الفنون لن تقبل طلابًا هذه السنة، لوجود إصلاحات تشمل الشؤون الإدارية والمقررات الأكاديمية. وهكذا تلقيت صدمة قوية أخرى غير متوقعة على الإطلاق. ولكنني بعد المرحلة الثانوية اكتسبت مناعة في تحمل خيبات الأمل، وخبرة في التكيف، وقبول ما هو ممكن ومتاح بشرط أن تكون لدي الإمكانات لاجتيازه ويحظى باهتمامي! وقررت عدم العودة إلى البحرين إلا بشهادة ما ولتكن في الآداب أو التربية!

ولكن طلبات الالتحاق بالكليات التي رغبت فيها أخذت في التعقيد: فكلية الآداب اكتمل نصاب طلابها وكذالك التربية، ووجدت اسمي – بعد شهر ونصف من المتابعة – مدرجًا على لائحة كلية الطب، وهي المهنة التي لا أميل إليها، ولا أصلح لها شخصياً.. ولن أنجح فيها أيضاً!

ولم يكن هناك من حل سوى الالتحاق بإحدى كليات الآداب: في البصرة أو الموصل. واخترت الأولى لقربها من البحرين، ولكونها جامعة جديدة، ومدفوعًا بتوقعات وآمال: بأنها ستهتم بالتوجه نحو الخليج في دراساتها واهتماماتها الأكاديمية؛ نظرًا إلى ما للبصرة من روابط تاريخية واجتماعية مع دول وشعوب المنطقة، وهذا ما سعتْ جامعة البصرة إلى تحقيقه منذ بدء إنشائها. وقد تحدثت عن توجهاتها تلك في ذكريات سابقة نُشرت في صحيفة «الوقت».

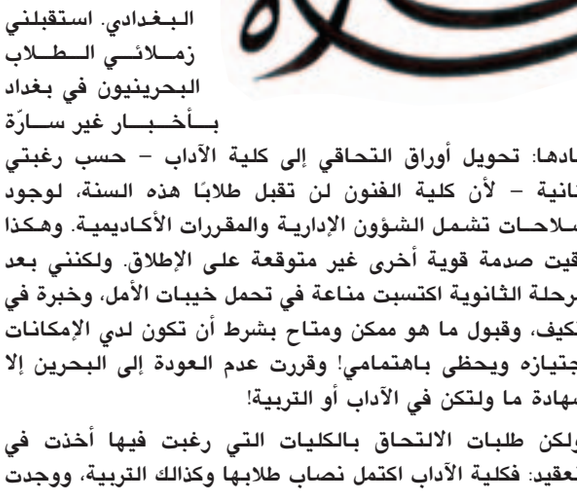

مقتطفات

■ انتبهت في زحمة العمل أنه لابد من تنظيم وقتي كي يكون لدي فرص للاعتناء باهتماماتي الأخرى، وبخاصة التدرب على الخط والقراءة.. القراءة التي هي من أحب العادات وأمتعها، ورفيقتي التي لا يمكن التخلي عنها مدى الحياة

■ كان من عادتي أن أطلب من المؤسسات التي أتعامل معها بشكل مكثف تخصيص دفتر لي أسجل فيه أجر ما أنجزه من أعمال خطية أولاً بأول، لأعود بعد فترة قد تمتد اكثر من شهر، لاستلام ما تجمع لي من مبالغ

يكتبها: أحمد المناعي

تجربة أحمد المناعي مع الخط العربي

«إننا معشر الخطاطين نموت بالسكتة القلبية لأننا حينما نخط نحبس أنفاسنا حتى ننتهي»

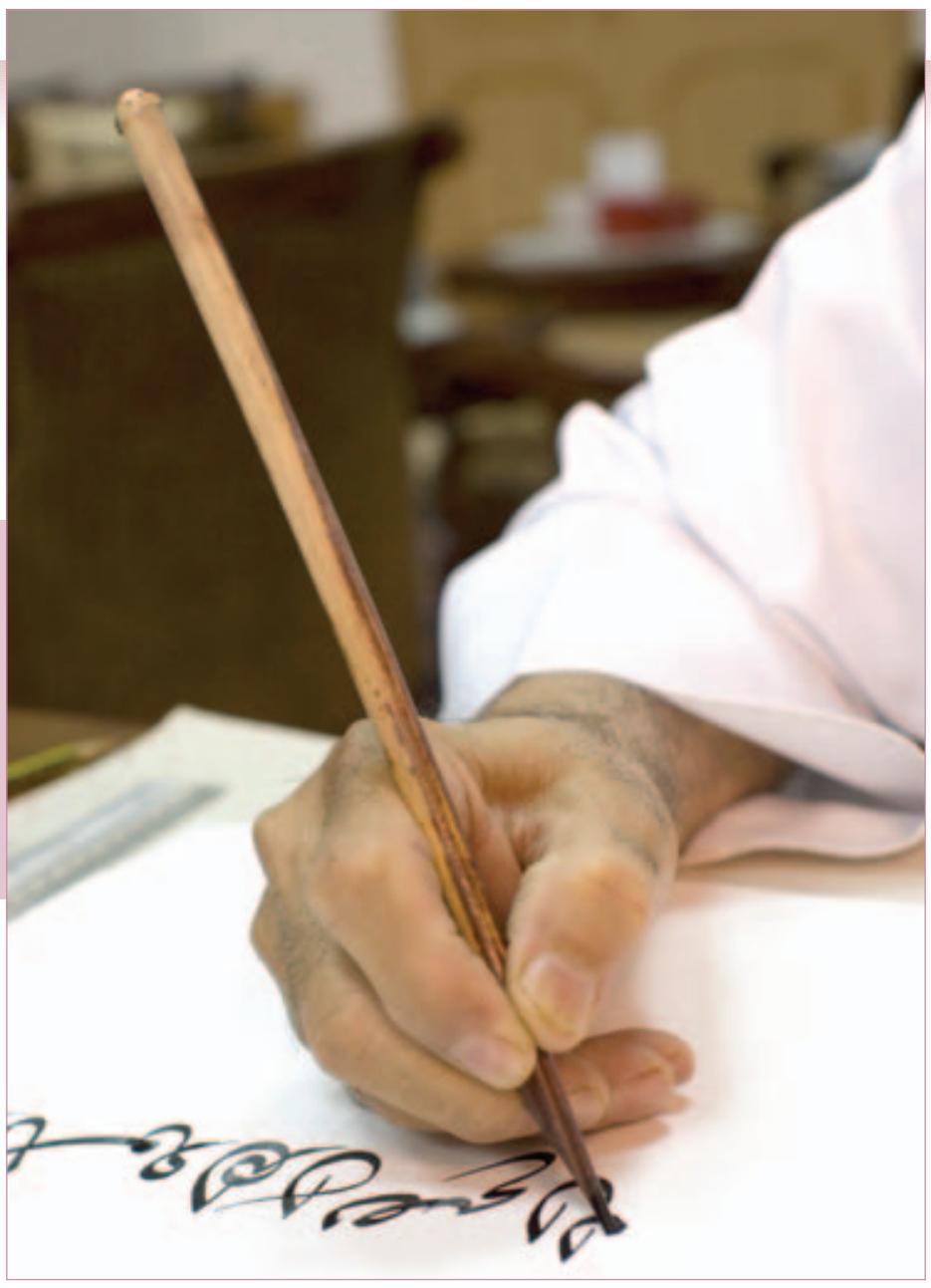

(تصوير: حسين المحروس)

"الخط العربي مجوهرات تصوغها اليد من ذهب العقل الصافي" التوحيدي

ليس عقل أحمد المناعي فقط، يستحيل ذهباً صافياً حين يدخل طقس الخط، بل حتى يده تصير قصبة ذهبية بالغة الصفاء، خطه يشكله هذا الصفاء الذاهب في أعماقه، ربما هو سر عناده الدائم مع نفسه حد الظلم، حسّاس لما يظنه شائبةً تخالط هذا الصفاء، حد أنه لم يكن يترك توقيعه على أعماله. لقد أغلق المناعي تجربته على صومعته الصوفية، وظل في خلوة خطه لا يسمع غير صرير قصبته، تنتقل به حركة الحرف من حال إلى حال، ومن سفر روح إلى صورة حال، يحيل حركاته وانتقالاته خطاً من ذهب مصاغ بنار روحه ونورها، وكأنه يردد مع المتصوف النَفّر: الحرف ناري، الحرف قدري، الحرف دهري، الحرف خزانة سري، وهو هنا لأول مرة يفتح خزانة سر خطه وحرفه، بعد إلحاح وطرق على أن يفتح جنة أسرار حرفه.

علي الديري

الحلقة الرابعة

انحصرت نشاطاتي الخطية بالجامعة في كتابة اللوحات والإعلانات وخط أسماء الطلبة والطالبات على الأوراق والميداليات والكراسات الدراسية

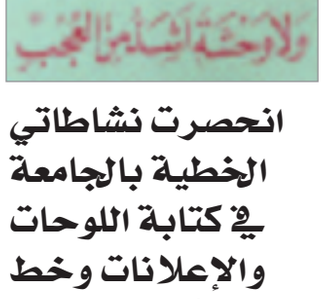

خلال المحاضرات التي لا تعجبني كنت أقوم بتصميم أغلفة كتب متخيلة تحمل عناوين ساخرة ورسومات مضحكة أسند تأليفها للأساتذة غير المحببين لنا

اللقاء الأول مع الخطاط هاشم

جئت إلى البصرة أواخر أيام شهر ديسمبر/كانون الأول من العام 1964، فوجدت جامعتها غير مكتملة، ينقصها الكثير من الكوادر الأكاديمية والإدارية، والتجهيزات المكتبية وأثاث الغرف الدراسية، ظروف لم أتوقعها، وضعتني بين خيارين كالعادة: الصبر عليها أو العودة إلى البحرين. واخترت الأول تحديًا والتزاما بقرار عدم العودة من دون شهادة، وتفاصيل ذكريات الدراسة الجامعية نشرتْ سابقا في جريدة الوقت أيضا.

وما إن استقر بي المقام في البصرة حتى صرت أتطلع متلهفا لزيارة الخطاط الشهير هاشم البغدادي، وكانت الفرصة مواتية، فالجامعة لم تبدأ بعد، وقرار البقاء في البصرة قد اتخذ من جانبي.

وبعد استراحة يومين أو ثلاثة، ركبت القطار إلى بغداد، وما هي إلاّ بضع ساعات حتى وصلت إلى بغداد، واتجهت فورًا إلى لقاء هاشم، فلم يعد لي صبر أن أبحث عن فندق وأن أُأجل زيارته إلى الغد، فقد كان الشوق إلى التعرف عليه مسيطرًا على كياني. وتوجهت في الحال حاملا حقيبتي الصغيرة معي إلى إحدى العمارات في شارع الرشيد، حيث يوجد بها مكتبه.

طرقت الباب ودخلت فاستقبلني محييًا، وطلب مني الجلوس، وانصرف يستكمل عمله بصمت، وشغلت نفسي في هذه الأثناء بتأمل المكان: مكتب متواضع عليه أدوات ولوازم الخط: من أقلام قصب وريش ومحبرة وغيرها من لوازم الخطاط. أما الجدران، فعلق عليها بعض لوحاته الفنية الأصلية وكلها من قديم أعماله. بعضها مألوف وسبق لي رؤية صور لها في كراسته المطبوعة. وبعد بضع دقائق، أنجز فيها ما أمامه من كتابة، ورفع رأسه ليجدني مركزًا نظري على وضعيته غير المألوفة لدي: كان رافعًا ركبته اليمنى، مسندا إياها على طرف الطاولة، واضعا عليها لوحة مثبت على سطحها الورقة، وآخذا في الخط عليها بكل أريحية وثبات، وبين فترة وأخرى يمد يده اليسرى لارتشاف الشاي قبل أن يهم في غمس قلم القصب في المحبرة ويشرع ثانية في الكتابة. وما أثار دهشتي أكثر أنه كان يكتب خط الثلث الذي يعتبر أصعب الخطوط على الإطلاق، وهو على هذه الوضعية العجيبة! وتأثرت بالمشهد وأخذت أردد في نفسي: هيهات .. هيهات .. أصل إلى هذا المستوى! ولا أدري إن كانت هذه الوضعية مألوفة لدى هاشم أو استثنائية، إذ لم ألحظه في زياراتي التالية إلاّ وهو يكتب على الطاولة.. وقبل أن يبادرني بالكلام، قلت له معرفًا نفسي: أنا طالب بحريني أدرس بجامعة البصرة، فما أن نطقت هذه الجملة، حتى قام مرحبًا بحرارة، وانتقل إلى الكرسي المقابل لي ليفتح معي حديثا وذكريات عمن يعرفهم من البحرين وعما يعرفه عن تاريخها ومثقفيها، فانبهرت من هذا الترحيب الودود جدًا! واكتشفت فيما بعد أن للبحرين والمواطن البحريني لدى العراقيين مَعزّة خاصة جعلتني منذ تلك اللحظة مشدودًا إلى العراق وشعبه برابط روحي يعادل رابطة الانتماء إلى الوطن الأم.

هاشم البغدادي

توثقت علاقتي بهاشم، فكنت أزوره بين فترة وأخرى، ولم أتجرأ يومًا على الطلب منه إعطائي دروسًا خصوصية في الخط؛ لمعرفتي بأنه يدرّسه في كلية الفنون وليس لديه وقت لذلك. وكذلك الحال معي، فإقامتي في بغداد قصيرة لا تتعدى يومًا أو يومين، غالبا ما تكون خلال نهاية الأسبوع، أنشغلُ فيها مع الأصدقاء، والتجول على المكتبات، لذا اكتفيتُ بصحبته وزيارته في مكتبه، ومراقبته مستمتعا خلال ساعات وجوده بالمكتب، وهو يبدع أجمل الخطوط. وأنظر الآن إلى تلك الفرصة الذهبية بأسف شديد؛ لأنني فوتُ تعلّم الخط وتجويده بطريقة صحيحة، على يد خطاط مبدع!

ولمستُ عند هاشم عنايته الفائقة بالخط أثناء عمله، فلا توجد لديه كتابة تجارية، غير معتنٍ بها، سواء أكان عنوانا صغيرًا أو لوحة كبيرة للاستعمال الدائم أو المؤقت، محافظته على الإتقان والدقة صفة لازمة عنده، وكتابته بالحبر نظيفة حتى ولو كانت صغيرة، وتبقى كذلك على نظافتها عند تكبيرها. كتب لي اسمي بالثلث المركب وآخر بالفارسي المعرّب، فلم أرَ مثل صفائه ونقاوته. حبره لا ينقطع في نصف الحرف، وسواده لا يبهت على مر الزمن، يصنعه بيده وهو من أسرار مهنته. أبرز ما وجدته من صفاته اعتزازه بخطه أيما اعتزاز. وهذا موقف حدث أمامي يؤكد ما أقول: دخل عليه مرة زبون كان قد طلب منه خط اسمه وعنوانه، وحالما تعرّفه هاشم أخرج من الدرج ورقة الخط المطلوبة، مغطاة بورقة أخرى شفافة لحفظها من الاتساخ، تأملها الزبون مبديًا رضاه عنها، ثم دفع مبلغًا معينًا مقابلها، وهمّ بالخروج وهو يطوي الورقة ويضعها في جيبه، وإذ يلحظه هاشم يفز من كرسيه كالمقروص مناديا إياه بالعودة، قائلا بلهجة غاضبة: هاتِ الورقة، وقام الزبون بتسليمها له وهو مندهش! ويسال عن السبب! وإذا بهاشم يودع الورقة في الدرج ثانية، ويعيد إليه المبلغ الذي دفعه، ثم يطلب منه الانصراف..! وتعجب الزبون من هذا التصرف المبهم، طالبا تفسيرًا للموقف!

وكنت أنا في موقف أكثر اندهاشا وحرجًا؛ لأنني لم ألحظ فعل الزبون، وتخوفًا كذلك مما قد يحدث بينهما! ولكن هاشم بادره بهدوء: لماذا طويت الورقة؟ وواصل قبل أن يرد الزبون: ألا تعلم أنها تحمل جزءًا من روحي!؟ وأكمل بحسرة: لقد عصرت قلبي..! خذ فلوسك فهذه لا تساوي شيئا، انصرف رجاءً، فأنا لا أكتب إلاّ لمن يقدر قيمة خطي ! ويُذكر عن هاشم قوله: إننا معشر الخطاطين نموت بالسكتة القلبية؛ لأننا حينما نخط نحبس أنفاسنا حتى ننتهي، فكل جرة قصبة لكتابة حرف هي قطع للنَفس.

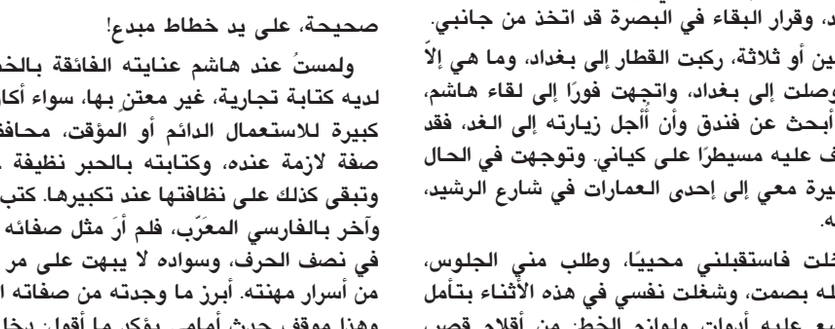

■ بخط هاشم البغدادي

قضيت مع هاشم أيامًا ممتعة ومفيدة استمرت حتى العام 1967، سافر بعدها إلى ألمانيا للإشراف على طباعة القرآن الكريم. وبعد تخرجي العام 1968 صرت أحرص على لقائه كلما أزور بغداد، لغاية وفاته المفاجئة بالسكتة القلبية في 30 أبريل/نيسان العام 1973عن عمر لا يتجاوز 56 عاما، وكان قد تنبأ بوفاته في الشهر الرابع من العام ذاته، وبالسبب الذي ذكره، في مقابلة صحافية مع زوجته، نشرت في ملحق جريدة القبس في مايو/أيار 1990.

أنجز هاشم لوحات خطية رائعة ضمّن معظمها كراسته الشهيرة التي تدربتْ عليها أجيال عديدة من محبي الخط وعشاقه، وستظل معتمَدَة وباقية تشهد على إبداعه وتفرُّده في هذا الفن الأصيل، وباعتبارها الأفضل والأكثر إتقانًا وضبطًا لموازين الخط العربي الجميل. وتذكر زوجته أنها وجدت ما يقرب من مليون بسملة، بعد وفاته، ويؤثر عن هاشم محافظته على كتاباته منذ تعلمه على أيدي أساتذته في الخط، وعلى بعضها ملاحظاتهم وتصويباتهم لتدريباته!

ومن آثاره الفنية الخالدة خطوطه على كثير من العملات النقدية لبعض الدول العربية، وعلى جدران جوامع بغداد، وصيانة وإخراج نسخة نادرة من القرآن الكريم، تعود إلى العام 1278 هجرية، بقلم الخطاط التركي الشهير حافظ محمد أمين الرشدي، عهدت إليه مديرية الأوقاف العامة أواخر الأربعينات تصحيح ما فيها من نواقص خطية، كعناوين السُّور وتعديل بعض الآيات والفهارس، وزخرفة الأطر، وغير ذلك، وتمت طباعتها العام 1951، فجاءت تحفة فنية راقية، وقد أعيد طبعها مرات عدة، كما أنجز أيضا صيانة مخطوطة القرآن الكريم للخطاط التركي حسن رضا.

ويذكر عن هاشم أنه شرع أثناء حكم عبدالكريم قاسم بكتابة القرآن الكريم، وكان ينوي إهداءه لقاسم الذي كانت تربطه به علاقة صداقة وتقدير متبادل، ومكث ما يقرب من خمس سنوات معتكفا على إنجازها، ثم حدث الانقلاب ومقتل قاسم، وكان هاشم على وشك إكمال مشروعه، وبدا له أن المهدَى إليه لم يعُد على قيد الحياة، وأن لا أحد غيره يستحق هذه الهدية! فكان أن توجه إلى نهر دجلة ورمى المخطوطة! وبذا حرمنا من تحفة خطية رائعة.

وأحتفظُ منذ لقاءاتي الأولى بورقة عزيزة على قلبي، خطّ عليها هاشم بأنامله الرائعة اسمي الكامل بالثلث المركب وآخر بالفارسي، كما ذكرت سابقا. وقد حافظتُ عليها طوال السنوات الماضية. أخرجها بين فترة وأخرى، أتأملها ثم أعيدها إلى مخبئها. وهكذا بقيتْ محفوظة بأمان منذ ذلك الوقت، حتى أتى ذلك اليوم النحس، قبل سنتين، حين أخرجتها لأطبع منها نسخة مصوّرة، وإذا بالورقة الأصلية تنزلق داخل ثنايا الآلة الناسخة وتلتصق بشدة، وتؤدي محاولة إخراجها إلى اتساخها وتمزق جزء منها، ولم يَعُد إصلاحها ممكنا! وخلفت لي الحادثة ألمًا وحزنًا كبيرَين، خاصة حين أتذكر ما حدث بين هاشم وذلك الزبون الذي طوى الورقة، أو طوى روحه على حد تعبيره.

نشاطاتي الخطية في الجامعة

انحصرت نشاطاتي الخطية بالجامعة في كتابة اللوحات والإعلانات وغيرها. أما ما يجدر ذكره، فهو ما كنت أقوم به من خط أسماء الطلبة والطالبات على الأوراق والميداليات والكراسات الدراسية، أما مجموعة الطلبة المبدعين الذين يحتفظون بإنتاجيتهم الشعرية والقصصية في دفاتر خاصة، فهولاء أعتني بهم بشكل خاص من خلال تصميم وخط الأغلفة الفنية لمجموعاتهم، حيث يتم تداولها كنسخة وحيدة مكتوبة باليد. وقد احتفظت بعد التخرج بعدد منها، عليها إهداءات من أصحابها، ولكنها حاليا في حكم المفقودة بين ركام المحفوظات الورقية التي تملأ الرفوف والأدراج والزوايا. وقد عززت هذه الأنشطة من شهرتي في محيط الجامعة وأكسبتني علاقات واسعة، ليس مع الطلبة فحسب، بل ومع الهيئات التعليمية والإدارية، فكانت مفيدة في تسهيل أمور حياتي الدراسية.

ومن ذكريات شقاوة تلك الأيام، أنني خلال المحاضرات التي لا تعجبني ولا أجد متعة في الاستماع لها، كنت أقوم بتصميم أغلفة كتب متخيلة، تحمل عناوين ساخرة ورسومات مضحكة، أسند تأليفها للأساتذة غير المحببين لنا. وكدت أقع ذات مرة في قبضة أحدهم، لولا أنني أسرعت في تمريرها إلى زميلي القريب الذي مررها بدوره إلى آخر، ويئس الأستاذ في الحصول عليها. ولم أعد بعدها إلى ممارسة مثل تلك التسليات الخطرة، خاصة وأنني معروف بحسن السلوك والانضباط!

ومن أعمالي الخطية المرتبطة بالحوادث الشهيرة في تاريخ العراق كتابة بعض لافتات الاستقبال، وخط أسماء كليات الجامعة على النصب التذكاري المقام عند مدخل الجامعة بالتنومة، وهي الضفة القاحلة على شط العرب المقابلة للضفة العامرة التي تقع عليها مدينة البصرة، وذلك قبل يوم واحد من مقتل الرئيس عبدالسلام عارف مساء يوم 13 أبريل/نيسان العام 1966، وهو قادم في زيارة تفقدية لمدينة البصرة، وافتتاح جامعتها التي لم تحظ بافتتاح رسمي لها منذ بدء تأسيسها أواخر العام 1964.

مقتطفات

■ ركبت القطار إلى بغداد، وما هي إلاّ بضع ساعات حتى وصلت إلى بغداد، واتجهت فورًا إلى لقاء هاشم، فلم يعد لي صبر أن أبحث عن فندق وأن أُأجل زيارته إلى الغد، فقد كان الشوق إلى التعرف عليه مسيطرًا على كياني

■ انحصرت نشاطاتي الخطية بالجامعة في كتابة اللوحات والإعلانات وغيرها. أما ما يجدر ذكره، فهو ما كنت أقوم به من خط أسماء الطلبة والطالبات على الأوراق والميداليات والكراسات الدراسية، أما مجموعة الطلبة المبدعين الذين يحتفظون بإنتاجيتهم الشعرية والقصصية في دفاتر خاصة،فهولاء أعتني بهم بشكل خاص.

يكتبها: أحمد المناعي

تجربة أحمد المناعي مع الخط العربي

لم أسع إلى إعداد نفسي خطّاطاً محترفاً.. واكتفيت بصفتي ناقداً

"الخط العربي مجوهرات تصوغها اليد من ذهب العقل الصافي" التوحيدي

ليس عقل أحمد المناعي فقط، يستحيل ذهباً صافياً حين يدخل طقس الخط، بل حتى يده تصير قصبة ذهبية بالغة الصفاء، خطه يشكله هذا الصفاء الذاهب في أعماقه، ربما هو سر عناده الدائم مع نفسه حد الظلم، حسّاس لما يظنه شائبةً تخالط هذا الصفاء، حد أنه لم يكن يترك توقيعه على أعماله. لقد أغلق المناعي تجربته على صومعته الصوفية، وظل في خلوة خطه لا يسمع غير صرير قصبته، تنتقل به حركة الحرف من حال إلى حال، ومن سفر روح إلى صورة حال، يحيل حركاته وانتقالاته خطاً من ذهب مصاغ بنار روحه ونورها، وكأنه يردد مع المتصوف النَفّر: الحرف ناري، الحرف قدري، الحرف دهري، الحرف خزانة سري، وهو هنا لأول مرة يفتح خزانة سر خطه وحرفه، بعد إلحاح وطرق على أن يفتح جنة أسرار حرفه.

علي الديري

(تصوير: حسين المحروس)

الحلقة الخامسة

كانت أسرة الأدباء بمثابة الضُّرة القاسية التي جذبتني إليها بقوة

خطرت لي فكرة قطع ريشة قلم الحبر العادي بالميل المناسب للكتابة العربية وتنعيمها بالمبرد لتكون صالحة للخط بسهولة، لأستطيع الكتابة به أطول مدة

العودة إلى العمل في البحرين

عدت بعد تخرجي في الجامعة صيف العام 1968 إلى البحرين، والتحقت بوزارة التربية مدرسًا في مدرسة طارق بن زياد الإعدادية. وباشرت العمل في الخط مع أغلب المؤسسات التي اشتغلت معها سابقاً. وفكرت في ممارسة الكتابة الأدبية ونشر ما لدي من كتابات أنجزتها خلال دراستي الجامعية، وخاصة ما يتعلق منها بآداب الخليج العربي وتاريخه. وكانت فكرة تأسيس تجمع للأدباء والكتاب متداولة بين المهتمين بالأدب في البحرين منذ معرفتهم بتأسيس رابطة للأدباء في الكويت في وأوائل الستينيات. وكانت الأجواء الثقافية تشهد انفتاحاً ونشاطاً ملموساً بعد صدور صحيفة «الأضواء» العام 1965، وبروز عدد من الصحافيين والأدباء الشباب، وعزم الجهات الرسمية فتح المجال لإصدار صحف ومجلات أخرى.. وكان الصديق الشاعر علي عبدالله خليفة يطلعني دائماً على مستجدات النشاط الأدبي وما يدور فيه أثناء وجودي للدراسة في البصرة. وخاصة ما يتعلق بما ينشره الأدباء والكتاب الشباب في «الأضواء» و«هنا البحرين»، وما يتداول من نصوص غير منشورة لهم. وبعد عودتي في العام 1968، كانت فكرة الرابطة متبلورة لدى عدد من الزملاء، وانخرطت معهم في جهد تنفيذها، وبعد عقد اجتماعات تأسيسية عدة تم تقديم طلب الإجازة إلى الجهات الرسمية، ومن ثم حصول الموافقة عليها وإعلان تأسيسها في سبتمبر/أيلول العام 1969، باسم: أسرة الأدباء والكتاب. وضمّت في بدايتها 16 عضواً، ترأس أول إدارة لها الأخ الدكتور محمد جابر الأنصاري، ووجدت نفسي أنضم إلى عضويتها، خلفاً للمرحوم خميس القلاف، الذي توفي بعد بضعة أشهر من تأسيس الأسرة، ثم تسلمت أمانة السر في إدارتها التالية.

لم يكن العمل في الخط من أهم أولويات اهتماماتي خلال الفترة التي قضيتها في الأسرة؛ لذا لم أعطه الوقت والجهد اللازمين، ولم أسعَ إلى إعداد نفسي خطاطاً محترفاً، بإمكانه المشاركة في المعارض والنشاطات الفنية. واكتفيت بصفتي ناقداً، ومهتماً بالشأن الأدبي وقضاياه ومعاركه! وكان عليّ منذ البداية أن أدرك حجم قدراتي وإمكاناتي الأدبية المتواضعة، ولا أمنح نفسي كلية لهذا التوجه الذي لم أكن مؤهلاً له! كانت الأسرة بمثابة الضُرة القاسية التي جذبتني إليها بقوة وأدخلتني تحت عباءتها المغرية، وحجبت عني رؤية المستقبل الشخصي، وجعلتني أكرّس كل جهدي واهتماماتي لها، فكان ذلك على حساب عملي في الخط، وعلى حساب طموحاتي وتطلعاتي في الحياة! طبعاً، من دون إحساس بالحسرة! لأنها تستحق التضحية فعلاً رغم قسوتها تلك، ولا ينبغي إلقاء اللوم كلياً على تلك التجربة، فلا أحد يعلم ما سيكون عليه الحال لو واصلتُ مسيرتي في الخط، وتبعتُ الآمال والتطلعات التي كنتُ أرتجيها فترة الشباب!

ذكريات وطرائف العمل في الخط

لقاء طريف مع علي سيار:

كان ذلك بعد فترة وجيزة من صدور مجلة «صدى الأسبوع»، أي مطلع السبعينات، فأحببت التعرف على الأستاذ علي سيار، لما سمعته عن دوره في صحافة الخمسينات ونشاطه السياسي في الحركة الوطنية. ولأنني كنت أعتزم نشر مقالاتي في الصحيفة، وسعيت إلى لقائه الذي تحوّل إلى حكاية طريفة. وكنت على معرفة سابقة بعدد من المسؤولين والمشتغلين في الصحافة من أمثال الأستاذ محمود المردي والأستاذ أحمد سلمان كمال، حيث كنت أنجز بعض الطلبات الخطية لمطبعة المؤسسة العربية للطباعة والنشر، التابعة لصحيفة «الأضواء»، كما سبق لي نشر أول مقال صغير عن أهمية القراءة في العدد الثاني من الصحيفة عام صدورها 1965، ثم انقطعت عن التواصل معهم، لانشغالي بالدراسة في الخارج.

كان مقر مجلة «صدى الأسبوع» في المنامة بالقرب من باب البحرين، وانتهزت فرصة إعلان الصحيفة عن طلب خطاط. فذهبت إلى هناك ودخلتُ على الأستاذ علي، مرتديًا لباس العمل (القميص والبنطلون) من دون تأنق! فاستقبلني بتحية باردة – ظنًا أنني طالب وظيفة – قائلاً: ماذا تريد؟ قلت له قرأت الإعلان عن طلب خطاط وأريد مساعدتكم لأني أجيد الخط.. رد علي باستغراب: تريد مساعدتنا كيف؟ هنا أدركت خطأ التعبير، فقررت إخفاء شخصيتي فأجبته: أقصد أخط لكم كل ما يلزم الصحيفة من عناوين ومن دون مقابل، إلى أن تحصلوا على خطاط! قال بتلطف: ولماذا لا تعمل معنا بشكل دائم، يا بني؟! قلت: لا أستطيع، لدي ارتباطات كثيرة مع مؤسسات أخرى. أجابني بلهجة تنم عن عدم التصديق: عجيب! فلمست من لهجته نفوراً من ردي، وبدا لي ضرورة التخلص من الموقف الحرج الذي أوقعت نفسي فيه بالمغادرة بسرعة! فالتزمت الصمت وهممت بالخروج، وتنبه إلى أنه لم يسألني عن اسمي، فاستوقفني مستدركاً: ما اسمك؟ قلت: أحمد علي.. حاول أن يتذّكر خطاطاً بهذا الاسم فلم يفلح، فرد قائلاً: لم أسمع بك من قبل! قلت: أنا لا أوقّع على ما أخط، ولا أتعامل مباشرة مع الزبائن! وبابتسامة غريبة كرر مرة أخرى: عجيب! وأعقب كلامه: انضم إلينا، سنعطيك راتباً جيداً.. قلت له: آسف، لا يمكنني..! وتساءل مستغرباً: لماذا يا بني؟ قلت لأنني أحصل على دخل يفوق ما ستعطيني إياه مرات عدة!.. ووقع ما كنت أخشاه! فلم يتحمّل ردي الصريح، ووجد فيه غرورًا مبالغاً فيه! فأنهى المقابلة قائلاً: لا نحتاج إلى أمثالك! وخرجت وأنا أكتم ضحكة كادت تفلت مني داخل المكتب!

بعد مرور أشهر عدة على ذلك الموقف، انشغلت خلالها بممارسة النشاط الأدبي وباشرت الكتابة في «الأضواء» والمشاركة في الندوات، وصرت معروفًا لدى القراء. عُدتُ إلى علي سيار – هذه المرة – متأنقًا مرتديًا الزي البحريني، ودخلت عليه في مكتبه بالصحيفة، فأسرعتُ بتعريف نفسي: أحمد المناعي عضو أسرة الأدباء والكتاب، ومدرس اللغة العربية بمدرسة الحورة الثانوية.. فاستقبلني بحرارة وود كبيرين، وسألني عن نشاطات الأسرة ومشاريعها. ولاشك أنه سمع بي في هذه الفترة، ولكنه لم يتعرف عليّ بشخصيتي السابقة، فحمدتُ الله، وتكتمت على ما مضى؛ لأني أريد فتح صفحة جديدة معه. وفعلاً طلب مني النشر في مجلته، فرددت عليه بأنني جئت لهذا الغرض، فرحب بي، ووعدته بنشر دراسة أدبية عن تاريخ الأدب في الخليج، فاستعجلني بإحضارها.. وأحضرتها بعد مدة، وتم نشر حلقتين منها، ولكنني أوقفتُ نشر باقي الحلقات.. حيث وجدت فيها سذاجة في العرض والتحليل! ولي مع هذه الدراسة موقف طريف يستحق الذكر، ولو لم يكن له صلة مباشرة بسيرة الخط..

من تاريخ الخليج إلى تاريخ الخط

وفحوى الموقف هو أنني سبق أن تقدمت باقتراح لجامعة البصرة في بداية تأسيسها بشأن إدخال مقرر تاريخ الخليج العربي في مناهج كلية الآداب، وتم الأخذ به فعلاً في السنة التالية. فأردت العام 1977، أي قبل تخرجي بسنة أن أقدم اقتراحاً آخر، هو إدخال مقرر أدب الخليج العربي في المقررات الدراسية في كليتي الآداب والتربية، فكان عليّ أن أُحَضّر مادة في هذا الموضوع تعزز الاقتراح. وقد أنجزت الدراسة فعلاً خلال شهرين، بعنوان: اتجاهات الأدب في الخليج. إلا أنني ترددت في رفعها إلى الجهة الأكاديمية المعنية، لأسباب لا أتذكرها الآن، ثم عدلتُ تمامًا عن متابعة الموضوع. وصادف أن عرضتُ الدراسة على صديق شاعر وأديب معروف في البصرة، بغرض إعطائي ملاحظاته ورأيه في مستواها. وبعد أن اطلع عليها، طلبت منه تقييمها بصراحة.. فكان رده أنها جيدة، واقترح عليّ نشرها في أي مجلة أو صحيفة في العراق، لأهميتها في نظره في ذلك الوقت. لكنني لم أقتنع باقتراحه، لوجود نواقص ومصادر إضافية لم تتوافر لي بعد! ودار بيننا جدل انتهى بأن يُبقي الدراسة عنده بعض الوقت ليعيد قراءتها، مضمرًا أمرًا ما!. وأفاجأ بعد أيام عدة بأن قسمًا منها بعنوان «الأدب في الكويت» منشورٌ في صحيفة محلية بالبصرة، وموقعًا باسمه! وحين التقيته، واجهته محتجًا على تصرفه غير المسؤول! فردّ علي بكل برود: هذا تأديب لك كي لا تترد في المستقبل عن نشر أعمالك الأدبية، فأنت لست الحكَم عليها!.. ولكن، هل أثر فيّ ذلك العقاب؟.. مع الأسف، لم أرتدع حتى اليوم! وصدق من قال «من شبَّ على شيء شاب عليه»!

وقد توطدت علاقتي بالأستاذ العزيز علي سيار بعد استمراري في النشر في «صدى الأسبوع». وأذكر له بكل امتنان إتاحة الفرصة لي في الاطلاع على صحف البحرين القديمة التي كان يحتفظ بها في مكتبه آنذاك، وثقته الكبيرة بإعارة بعضها لتصفحها بتأنٍ وقراءة موضوعاتها في المنزل.

ابتكار قلم للكتابة السريعة

أثناء التحاقي بالتدريس مطلع الستينات عَهدت إليّ وزارة التربية (المعارف سابقاً) خط بيانات وأسماء الطلبة المتخرجين في المرحلتين الابتدائية والثانوية على شهاداتهم، وبلغ عددها أول الأمر مئات عدة، ثم تضاعف إلى الآلاف. وبالتالي تحتاج كتابتها إلى جهد ووقت كبيرين، إذا ما كتبت بقلم القصب أو الريشة. فكان لابد من تذليل هذه الصعوبة، كي لا تسبب لي إرهاقاً وتعباً لا يساوي كلفة الكتابة، خاصة أن المدة المعطاة لإنجازها محدودة جداً، ومرتبطة بمواعيد ثابتة لتسليم الشهادات. فخطرت لي فكرة قطع ريشة قلم الحبر العادي بالميل المناسب للكتابة العربية وتنعيمها بالمبرد لتكون صالحة للخط بسهولة، وبعد محاولات عدة مع أقلام مختلفة توصلت إلى المستوى المطلوب، وبقيت عملية شحن أنبوبة القلم بحبر أسود خفيف لا يجف بسرعة، لأستطيع الكتابة به أطول مدة. فقمت بخلط حبر الباركر الأسود العادي بقطرات مخففة من الحبر الصيني.. ونجحت الفكرة، وطبقتها على كتابة الشهادات، فصرت أنجز في الساعة ما يقرب من مئة شهادة.. وصار إنجاز خمسة آلاف شهادة ممكناً خلال أيام معدودة، بعد كانت تستغرق شهراً أو يزيد، وبجهد أقل تعبًا وتوفيرًا للوقت!

وقد أصبحت الأقلام المبتكرة – وبأحجام مختلفة – تلازمني أينما ذهبت، وكأنها أقلام حبر عادية للاستخدام السريع: كعمل الميداليات وبطاقات التهنئة ونحوها. وانتشر خبرها بين الأصدقاء في الجامعة، من جراء استعمالها أمامهم، فعانيت من كثرة الطلبات عليها؛ لأن تصنيعها يدوياً ليس سهلاً كما يوحي مظهرها. وبعد أكثر من عشر سنوات نزلت إلى الأسواق أقلام شبيهة مصنعة آلياً. ولا أدعي مطلقاً أنني صاحب الابتكار، إنما أعني أن الحاجة تصنع الوسيلة!

مقتطفات

■ عدت بعد تخرجي في الجامعة صيف العام 1968 إلى البحرين، والتحقت بوزارة التربية مدرسًا في مدرسة طارق بن زياد الإعدادية. وباشرت العمل في الخط مع أغلب المؤسسات التي اشتغلت معها سابقاً.

■ أثناء التحاقي بالتدريس مطلع الستينات عَهدت إليّ وزارة التربية [المعارف سابقاً] خط بيانات وأسماء الطلبة المتخرجين في المرحلتين الابتدائية والثانوية على شهاداتهم، وبلغ عددها أول الأمر مئات عدة، ثم تضاعف إلى الآلاف.

يكتبها: أحمد المناعي

تجربة أحمد المناعي مع الخط العربي

في 1965 أنشىء مجلس نقد البحرين وعهد إلي خط العناوين علي أول عملة بحرينية

"الخط العربي مجوهرات تصوغها اليد من ذهب العقل الصافي" التوحيدي

ليس عقل أحمد المناعي فقط، يستحيل ذهباً صافياً حين يدخل طقس الخط، بل حتى يده تصير قصبة ذهبية بالغة الصفاء، خطه يشكله هذا الصفاء الذاهب في أعماقه، ربما هو سر عناده الدائم مع نفسه حد الظلم، حسّاس لما يظنه شائبةً تخالط هذا الصفاء، حد أنه لم يكن يترك توقيعه على أعماله. لقد أغلق المناعي تجربته على صومعته الصوفية، وظل في خلوة خطه لا يسمع غير صرير قصبته، تنتقل به حركة الحرف من حال إلى حال، ومن سفر روح إلى صورة حال، يحيل حركاته وانتقالاته خطاً من ذهب مصاغ بنار روحه ونورها، وكأنه يردد مع المتصوف النَفّر: الحرف ناري، الحرف قدري، الحرف دهري، الحرف خزانة سري، وهو هنا لأول مرة يفتح خزانة سر خطه وحرفه، بعد إلحاح وطرق على أن يفتح جنة أسرار حرفه.

علي الديري

(تصوير: حسين المحروس)

الحلقة الأخيرة

■ عملت في تجهيز خطوط وعناوين الأفلام والإعلانات المرافقة بالإضافة إلى القيام بتصحيح ترجمة عناوينها فقد كان معدوها لا يلتزمون بترجمتها حرفيًا

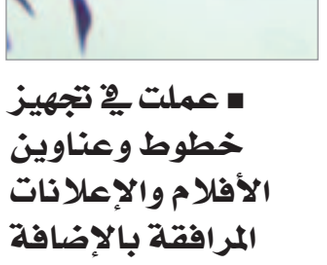

عاصرتُ جميع تطورات لوحات السيارات.. من صفائح المعدن التي تكتب الأرقام عليها بالصبغ إلى استخدام مادة البلاستيك..إلى العودة إلى الصفائح المعدنية ذات الأرقام البارزة

الخط على الأقواس العالية باستخدام الرافعة:

في السبعينيات وبعد استقلال البحرين نشطت إقامة أقواس الاحتفالات بالأعياد الوطنية، وكعادة البحرينيين، فهم لايخططون لمشاريعهم الاحتفالية مبكرًا، يأتون إليك في آخر الوقت لتنفذها لهم! وهم على استعداد – طبعا– ليدفعوا ضعف القيمة المعتادة!. ولم أكن أبالي بهذه الفرص ولا بقيمة ما ستدر علي من نقود، إنما مثل هذه المطالب العاجلة دائما ما تؤجج لدي الحماس والتحدي في إنجازها!

طبعا، تلبى طلباتي بسرعة: رافعة (كرين) من النوع الذي يستخدم لتنظيف البنايات العالية، معلق بطرفها صندوق معدني مفتوح السقف، وصباغ فني. أدخل إلى الصندوق مُلثما كي لا يعرفني أحد! تصعد بي الرافعة إلى القوس، مبتدئا الكتابة من طرفه الأيمن.. واضعا قلميّ رصاص بين أصابع يدي اليمنى دون أن أربطهما: واحد بين السبابة والوسطى، والآخر بين البنصر والخنصر، وأضبط المسافة بينهما بما يتماشى مع حجم الحرف المطلوب، وأقوم بتقسيم طول القوس على عدد كلمات العبارة المطلوبة ثم أشرع في خط العبارات المطلوبة. وما هي إلا ساعة أو أكثر قليلا وينتهي الخط على القوس بالقلم الرصاص، ويصعد الصباغ الفني ليملأ فراغ الكتابة باللون، تحت إشرافي المباشر، وإذا حدث خطأ أو احتاجت الكتابة إلى تعديل، أصعد لتصحيحها. وقد يستغرق العمل في الأقواس على الشوارع المزدوجة عدة ساعات، ويكون جاهزا في نفس اليوم، حتى لو اضطررتُ إلى استكماله في الليل!

القصد من استعراض الموقف السابق ليس إبراز صعوبة الخط على الأقواس، فهو أمر عادي بالنسبة للكثير من الخطاطين المحترفين، أنما تبرير لظاهرة التخفي أثناء ذلك، فهذا العمل بالنسبة لي غير عادي، كوني مدرسًا وأديبًا معروفًا، علاوة على تقاليد الانتماء العائلي التي ترى أنه عمل لا يليق بأمثالي!

الكتابة على أول عملة نقدية بحرينية

في أوائل عام 1965 أنشىء مجلس نقد البحرين وتقرر إصدار عملة بحرينية بديلة للروبية الهندية، وعهد إليّ خط العناوين على فئاتها النقدية الورقية. وقمت بإنجازها بحسب المواصفات المطلوبة، وبخط الثلث غير المحلى. وفي أكتوبر من العام نفسه صدرت العملة الجديدة. وما أن وقعتْ في يدي وأخذت أتأملها، فإذا بالخط المكتوب عليها رديء جدا ولا علاقة له بخطي مطلقا، وظننت أن المسؤولين استبدلوه بخط آخر! ولما تقصيت ما حدث، وجدت أن ظني في غير محله! فما حدث – على حد قول أحد المسؤولين – أن الفنان الأجنبي لم يطبع خطي كما هو، وإنما قام بنسخه بيده عن الأصل على الورقة التي كلف بتصميمها وزخرفتها وكتابة حروفها وأرقامها الأجنبية.. وقد قام بذلك ربما توفيرا للطباعة بتحاشي عمل قالبين مستقلين، وقد يكون جهلا بخصائص الحرف العربي الذي لا يدرك أنه لا يرسم كالحرف اللاتيني! وهكذا خسرت إنجازًا مهمًا في مجال تجربتي في الخط.!

ضياع مشروع رحلة تركيا:

أواخر الستينيات سافرت إلى تركيا للإطلاع على الآثار الإسلامية في مساجدها ومتاحفها ومبانيها القديمة، وللقاء بعض مشاهير الخط فيها من أمثال حامد الآمدي وغيره.. وكنت عازمًا على إعداد دراسة تاريخية فنية للخط العربي في العهد العثماني. وأخذتْ مني زيارة تلك الأماكن جهدًا كبيرًا في تصوير بدائع الخطوط وتدوين الملاحظات عنها. ولم يتسنَّ لي الوقت الكافي للبحث عن الخطاطين الكبار، وشكّل عدم معرفة اللغة التركية عائقًا في الحصول على عناوينهم..! المهم أنني قمت بالتقاط عدد كبير من الأعمال النادرة التي كتبت بأيدي خطاطين أتراك من القدماء والمعاصرين. وعدتُ إلى البحرين مسرورًا، على أمل العودة مرة أخرى إلى تركيا للتعرف على الخطاطين البارزين ومقابلتهم لاستكمال الدراسة. ولم يخطر على بالي أن الحظ السيئ كان يترصدني ليطفئ فرحتي! فبعد يومين من وصولي توجهت إلى باب البحرين حيث يوجد محل (جنرال استور) لطبع الصور، وركنت السيارة قريبًا منه، وذهبت أولاً لشراء بعض الحاجات من محل مجاور له، ثم خرجت بعد دقائق متوجها لأخذ الكيس الذي به الكاميرا والأفلام فإذا به غير موجود على كرسي السيارة الأمامي، فصرت أبحث عنه بذهول في كل زاوية، ومع أنني واثق من إحضاره فقد شككت في ذاكرتي، فعدت إلى البيت للبحث عنه فلم أجد له أثرا، وفي النهاية تأكدت من تعرضي إلى سطو ومن سارق محترف ترصد السيارة التي تركتها مفتوحة الأبواب واثقا من الأمان في مكان يموج بالحركة والناس..! وحزنت جدا لخسارتي وجهدي الذي ضاع فجأة. ولشدة خيبة أملي، ومن ثم انخراطي في العمل والكتابة، دفعا بي إلى إلغاء المشروع، ولم أزر تركيا إلا بعد 25 سنة، وكانت زيارة سياحية عادية، لم أر فيها أي مَعلم من تلك المعالم التي كنت مبهورًا بها في الرحلة الأولى.

الكتابة على محراب المسجد الغربي بقلالي:

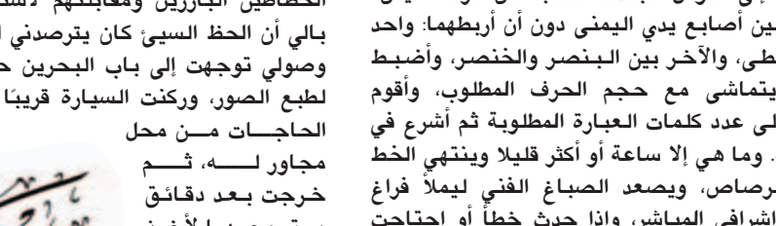

في أوائل ستينات القرن الماضي أُعيد بناء مسجد قلالي الغربي عام 1959، وهو من المساجد القديمة التي أنشئت أواخر القرن التاسع عشر في القرية. وأتيحت لي فرصة كتابة الآية القرآنية: (إنما يَعْمُر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) على محرابه، وقمت بحفرها على الجبس بالخط الفارسي، وليس بخط الثلث كما هو معتاد لدى الخطاطين، ولوّنتُ الكتابة بالأسود. وهذه أول مرة تنقش فيها آيات من القرآن الكريم على جدران مسجد بقلالي. وقد تم إعادة بنائه العام 2000م.

تصميم لوحات أرقام السيارات:

تعتبر شركة أوال بلاستك أوّل من استعمل البلاستك الصلب أواخر الستينات في صنع وخط اللوحات التجارية والإعلانات، واللافتات وأرقام السيارات، وقد أقبل عليها الزبائن بكثرة وفضّلوها على غيرها، باعتبارها أجمل ولأنها تعمر أكثر، وتقاوم الحرارة والرطوبة. وكانت مهمتي في إنجاز اللوحات يتم على مرحلتين: خط الكلمات أو الأرقام على الورقة الملصقة على لوح البلاستك، وبعد أن يتم قطعها حروفا مفككة، أقوم بإعادة تركيبها ولصقها على لوح البلاستك المطلوب. وبالنسبة للوحات السيارات فقد استعملت في البداية صفائح المعدن التي تكتب الأرقام عليها بالصبغ، وتطورت بعد ذلك إلى استخدام مادة البلاستيك، وأخيرًا العودة إلى الصفائح المعدنية ذات الأرقام البارزة بطريقة الضغط، وقد عاصرتُ جميع تطورات لوحات السيارات تلك. وإن كان جهدي الأساسي تركز في خط أرقام القوالب الأولى.

كتيّب السينما:

فكرة طبع برنامج السينما وتوزيعه على الجمهور في البحرين تعود إلى منتصف التسعينات، إلاّ أن تطويره بصورة كتيب جيب مرتب وملوّن فقد تم إصداره في أوائل السبعينات، وكان رجل الأعمال عزرا نونو، آنذاك، مديرًا لشركة السينما، وعلى يديه شهدت دور السينما تطويرًا كبيرًا شمل جميع نواحيها، بما فيها استيراد الأفلام الجديدة والشهيرة، مما أعاد للسينما نشاطها وجمهورها الذي هرب من جراء انتشار التلفزيون والفيديو، وإهمال المسؤولين السابقين في تحديث وصيانة دور العرض. ويحتوي الكتيب صورًا لبوسترات الأفلام ومعلومات وافية عن محتواها ونوعيتها، بالإضافة إلى موعد عرضها، خلال أسبوعين.

وكان يطبع منه آلاف النسخ، التي توزع بالبريد على المشتركين مجانًا. وبطلب من مدير السينما الذي كنت على معرفة سابقة به، عملت في تجهيز خطوط وعناوين الأفلام والإعلانات المرافقة في الكتيب، بالإضافة إلى القيام بتصحيح ترجمة عناوين الأفلام الأجنبية التي كان معدو الكتيب لا يلتزمون بترجمتها حرفيًا، ويضعون لها عناوين بديلة ساذجة.

وقد قضيت ما يقرب من السنة، ثم تركت العمل لانشغالي باهتمامات أخرى، بالرغم من أنها توفر لي دخلا لابأس به.!

برنامج تحسين الخط العربي:

كان مشروع التنمية المهنية هو أحد المشاريع المهمة التي أردت أن أختم به حياتي العملية بإدارة التدريب بوزارة التربية والتعليم. واحتوى المشروع على العديد من الدورات القصيرة والمكثفة، التي يحتاج إليها المعلمون والإداريون في جميع مراحل التعليم العام. وتم تنفيذ العديد من الدورات القصيرة التي لبت احتياجات العاملين في الميدان التعليمي، ولقيت إقبالاً ونجاحًا كبيرين. وكان من ضمنها برنامج تحسين الخط العربي الموجه إلى معلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية، وقد وُضعتْ له أهداف خاصة، من أبرزها التعرّف على تاريخ الخط العربي ومراحل تطوره وأنواعه، واكتساب المهارة اليدوية في كتابة خطي الرقعة والنسخ، وذلك من خلال التدريب المكثف والتقويم الفردي لكل متدرب.

وخُصص للبرنامج مدة ست عشرة ساعة، وعلى من لا يجتازه بنجاح مواصلة تدريبه مع المجموعات اللاحقة، حتى يحصل على الشهادة. وقد بدأنا بتدريب معلمي ومعلمات اللغة العربية في المرحلة الابتدائية. وتولى عملية التدريب الفنان والخطاط عبدالشهيد خمدن، وكان الإقبال على البرنامج كبيرًا جدًا، وتم تدريب ما يزيد على 50 من المعلمين والمعلمات في الفترة الأولى من العام الدراسي 98/99. ولا أدري إلى أي مدى استمر تنفيذ البرنامج، بعد تقاعدي عن العمل نهاية العام 1999.!

وأخيرًا، حاولتُ أن أدوّن مسيرتي مع الخط في صورة محطات لها بصماتها على حياتي، ولها أيضًا عِبَرها التي لا تخلو من فائدة لمن هم في بداية الطريق نحو المستقبل، ومبتدئًا إياها بالكشف عن آرائي وقناعاتي في فن الخط، وأود أن ينظر إليها مجرّد وجهة نظر، مستخلصة من تجربة فنية فردية، متواضعة جدا.

مقتطفات

■ بعد استقلال البحرين نشطت إقامة أقواس الاحتفالات بالأعياد الوطنية، وكعادة البحرينيين، فهم لايخططون لمشاريعهم الاحتفالية مبكرًا، يأتون إليك في آخر الوقت لتنفذها لهم! وهم على استعداد ـ طبعا ـ ليدفعوا ضعف القيمة المعتادة!. ولم أكن أبالي بهذه الفرص ولا بقيمة ما ستدر علي من نقود

■ كان مشروع التنمية المهنية هو أحد المشاريع المهمة التي أردت أن أختم به حياتي العملية بإدارة التدريب بوزارة التربية والتعليم. حيث احتوى المشروع على العديد من الدورات القصيرة والمكثفة، التي يحتاج إليها المعلمون والإداريون في جميع مراحل التعليم العام

الذاكرة تخون والأرشيف يصحح

■ أحمد المناعي

الحلقات التي نشرت في جريدة الوقت أخيراً عن تجربتي مع الخط شابتها بعض الأخطاء التعبيرية أو اللغوية بسبب الطباعة أو سقوط بعض حروف المعاني أو الربط. وهي أمور تحدث عادة، ويكون تصحيحها غير مهم، لأن القارئ المتمرس يلاحظها وقد يدرك علة وقوعها! غير أن بعض الأخطاء تكون ذات أهمية كبيرة وخصوصا ما يتعلق منها بحقائق الوقائع والأحداث الماضية التي يتم الاعتماد فيها على الذاكرة الشخصية دون التأكد من صحتها توثيقيا. وهنا تكمن أهمية تصحيحها في الحال كي لا تثبت في الذاكرة الجماعية اعتمادا على الثقة في راويها. وهذا ما حدث لي في الذكريات. ففي الحلقة الخامسة المنشورة بتاريخ يوم الخميس 26 نوفمبر/تشرين الثاني الجاري، وفي صفحة بروفايل، بالعمود المعنون (العودة إلى البحرين)، الذي ورد فيه الحديث عن تأسيس الأسرة وتكوين أول هيئة إدارية لها، ما يلي: (وضمت –أي الأسرة– في بدايتها 16عضوا، وترأس أول هيئة إدارة لها الأخ الدكتور محمد جابر الأنصاري، ووجدت نفسي أنضم إلى عضويتها خلفا للمرحوم خميس القلاف..)

بروفايل

1965 أنشيء مجلس ثقد البحرين
وعهد إلى خط الخاويز على أول عملة بحرينية

وقد استوقفتني هذه المعلومة بعد نشرها مباشرة وشككت في صحتها؛ في ما إذا كنت في عضوية إدارتها الأولى أم لا! الأمر الذي دعاني إلى العودة إلى أرشيف الأسرة والحركة الأدبية في مكتبتي للتأكد من صحتها. واستغرق مني البحث وقتا وجهدا كبيرين بين أكوام من أوراق الصحف والمجلات والنشرات وغيرها..! وأخيرًا حصلت على أسماء أول هيئة إدارية في رسالة منشورة في مجلة البيان العدد 49/ أبريل 1970، موجهة من أمين السر(علي خليفة) إلى رابطة الأدباء بالكويت مؤرخة 1970/2/25، يخبرهم فيها عن تأسيس أسرة للأدباء في البحرين وتكوين هيئة إدارية لها، وقد ورد في عضويتها: (محمد جابر الأنصاري رئيسا، وعلي خليفة أمينا للسر، وعلوي الهاشمي أمينا للصندوق، وأعضاء إداريون: قاسم حداد ومحمد الماجد وحمدة خميس ومنيرة فارس الخليفة).

فأدركت أن الذاكرة خانتني واختلطت علي الأحداث وتشابكت الأسماء والعلاقات خلال أربعين عاما ماضية! فلا وجود لاسم خميس القلاف فيها! وبالتالي فإن انضمامي للإدارة الأولى لم يكن في فبراير/شباط 70، وإنما في الإدارة الثانية في سبتمبر/أيلول من العام نفسه..! فكيف يمكن تفسير ما حدث للذاكرة؟

من الواضح أنني وقعت أساساً في خطأ التذكر الارتجالي لأعضاء الهيئة الإدارية الأولى التي تشكلت في سبتمبر/أيلول 69 واستمرت إلى سبتمبر/أيلول 70. فكنت أعتقد أن خميس القلاف الذي توفي في فبراير/شباط 70 كان ضمن هذه الهيئة، وهذا غير صحيح. إنما من كان في عضويتها هي حمدة خميس! فاشتبك علي الأمر لورود اسم خميس في اسميهما. ولأنني توهمت ذلك – وكنت على ما أعتقد عضو احتياط في الأولى – فقد تداعى إلى ذاكرتي أنني حللت بديلا له في هذا التاريخ.! والغريب أن أحدا من الزملاء لم ينبهني إلى الخطأ بعد النشر، بل، إنني استفسرت من بعضهم عن أعضاء الإدارة الأولى، فذكروني، وعددوا أيضا آخرين غيري لم يكونوا موجودين بها! مما يدل على عدم الوثوق في الذاكرة المرتجلة في مثل هذه الأمور. والصحيح أنني انتخبت عضواً في الإدارة الثانية التي تشكلت في سبتمبر/أيلول 70 وليس قبل ذلك!. والذي يساهم في تشابك المعلومات وخلخلة الذاكرة عندي وعند زملائي، هو توالي تشكيل الإدارة سنويا وتشابه الأسماء وثبوت بعضها في الذاكرة وغياب بعضها الآخر، مما يخلق تداخلا وخلطاً في المعلومات والوقائع، مع مرور الزمن، فيكون من الصعب على الذاكرة حفظها صحيحة مؤكدة، مثل ما نحن عليه مع مسيرة أسرة الأدباء التي مضى على تأسيسها أربعون عاما.

ولعل هذا الموقف ينبه ويدفع أسرة الأدباء إلى تنظيم أرشيفها وجمع ما ينقصه من وثائق، وإعداد أدلة ومراجع، تتيح للباحثين والدارسين الاستفادة منه، وتسهل كذلك على الأسرة وأعضائها خصوصا إنجاز الكثير من مهماتهم الإدارية والأدبية، وتوفر عليهم الجهد والوقت.

لقد كان لزاما عليّ أن اعتذر عن ما حصل من إشكال غير مقصود، وأن أوضح سبب وقوعه، وأنبه أيضا إلى عدم الاعتماد على الذاكرة الارتجالية وحدها، والتأكد دائما من صحة المعلومة التي تصدر عنها، وذلك بالرجوع إلى الوثائق المكتوبة وغيرها.